

أسئلة وردود في العقيدة الإسلامية

المجموعة الثالثة



إعداد

مركز الدليل العقائدي



مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين

برعاية مؤسسة أم أبيها الخيرية الثقافية

المؤلف: السيد مهدي الموسوي الجابري

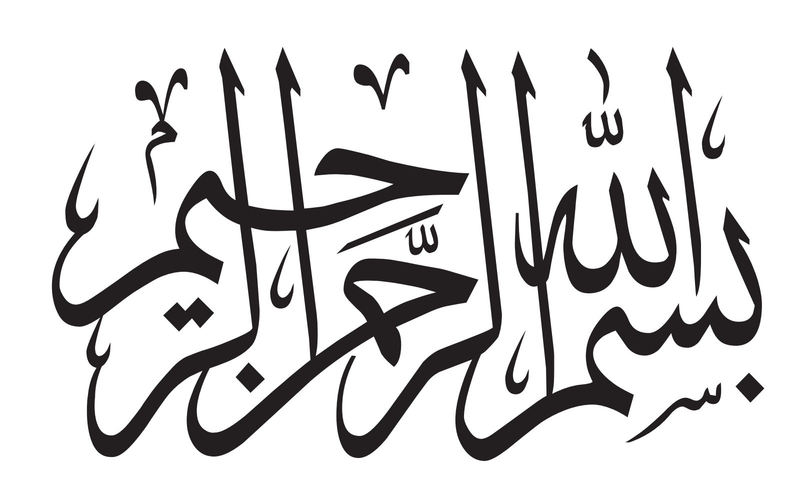
التدقيق والتصحيح اللغوي: الشيخ تحسين غازي البلداوي

التصميم والإخراج الفني: صفاء أحمد ثامر الشمري

محمد مهدي عبد الإله الجابري

سنة الطبع: ٢٠٢٢ م / ١٤٤٤هـ/ النجف الأشرف

طباعة وتجليد: مركز الدليل العقائدي


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسلامُ الأتمّانِ الأكملانِ على سيّدِ الأوّلينَ والآخرين وأشرفِ الخلقِ أجمعين، سراج المهتدين، والمبعوث رحمة للعالمين، المصطفى محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

انطلاقًا من قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، أخذ مركز الدليل العقائدي على عاتقه التصدّي للشُّبُهاتِ التي تطال العقيدةَ الإسلامية عمومًا، والتعريفَ بعقائدِ الشيعة الإماميّة خصوصًا، مع التصدي للرد على كلِّ الشبُهات التي تطال المذهبَ الشيعيَّ خاصة، هذا المذهب الشريف الذي أَسَّس بنيانَه، ووَضَع لبناتِه الأُولى النبيُّ الأقدس ﷺ حين قال في حديثٍ صحيح: (إني تاركٌ فيكم خليفتين: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرَّقا حتى يردا عليّ الحوض)، وما تلاه من بياناتٍ وأحاديث متضافرة تحثّ على التمسُّك والأخذ والمتابعة للثقلين (الكتاب والعترة) معًا، كهذا الحديث الصحيح: (إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يرِدا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)، وغيرها من الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في هذا الجانب، التي يكاد المنصفُ أن يقول بتواترها، بل هي متواترة فعلًا، لتضافر نقلها عند جميع الفِرَق الإسلامية على اختلاف مشاربهم الفقهية والعقَدية.

(١) فصلت: ٣٣.

وكل هذه الردود إنما تجري على وفق أسسٍ علمية ومنهجية سليمة، بعيدةٍ عن التعصُّب الأعمى والانغلاق المقيت، فالعلمُ هو السلاح الوحيد النافذ الذي يصح الاحتجاج به، وما عداه لا قيمةَ له، وقد نُسِب إلى سيد الموحِّدين أميرِ المؤمنين مولانا عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السلام قوله:

ففُزْ بعلمٍ ولا تطلُبْ به بدلًا   فالناسُ مَوتى وأهلُ العِلم أحياءُ

وعلى وفق هذه المعطَيات جاءت المجموعةُ الثالثة من الأسئلة والردود في العقيدة الإسلامية، وهي جزءٌ من سلسلةٍ من الكتبِ تحت عنوان (دلائل الحق)، آملين أنْ تجدوا فيه ما ينفعُكم في أمور دينِكم ودنياكم وآخرتكم، ونأمل أنْ تزدادوا بصيرةً بوقوفكم على حقائقَ نَفضْنا عنها غبارَ الشُّبهات بعد أنْ أثارها العابثون، وأسدلوا عليها ستارَ التضليل، ونرجو أنْ تكون هذه السلسلة نبراسًا لحلِّ ما التبس على بعضِ الناس من مسائلِ العقيدة، وإنارةِ السبيل لهم، وأنْ يجدوا فيها ضالَّتهم، وإجابةَ مسألتِهم.

ونسأل الله أنْ يَجمعَ شمْل المسلمين، ويزيدَ من عوامل التقائهم وأُلْفتِهم، ويجنِّبهم شرّ التطرُّف والمتطرِّفين، وشرّ الكفّارِ والملحدين، وأنْ تكون كلمةُ الله هي العليا، وكلمةُ الكفّار والمنافقين هي السُّفلى.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين، وصلى اللهُ على خير خلقه أجمعين، محمدٍ وآلِه الطيبين الطاهرين.

مهدي الموسوي الجابري
النجف الأشرف
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

نبذة تعريفية عن المركز

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين.. وبعدُ:

يُعنى مركز الدليل العقائدي برصد الإشاعات والشبهات التي تطال الدين عمومًا، ومذهب الشيعة الإمامية خصوصًا والرد عليها.

فقد كان تشويه العقائد من الوسائل القديمة - الجديدة التي لم يزل أهل الخلاف ينتهجونها بغية الانتصار لمذاهبهم، الأمر الذي ينبغي التصدّي لها وردّها علميًّا ومنهجيًّا وتوضيح الحقائق كما هي للناس.

قام المركز بوظيفته العلمية في هذا الجانب، فرصد جملةً كبيرةً من هذه الإشاعات والشبهات التي تطال الدين والمذهب، وصنَّفها أبوابًا وأقسامًا.

فمنها ما يخصّ مواضيع التوحيد والإلحاد، ومنها ما يخصّ مواضيع القرآن الكريم، ومنها ما يخصّ المذهب وجدليات الخلاف، وبعد رصدها قام بالردّ عليها علميًّا ومنهجيًا بواسطة أساتذة متخصصين في الردّ على الشبهات ومسائل الخلاف.

ثمّ توسع المركز في نشاطه باستقبال مختلف الأسئلة العَقَدية والفكرية والاجتماعية، حتى أصبح عدد الأسئلة التي تصله شهريًّا يتجاوز المئات.

وقد فتح المركز نافذة خاصّة للعلماء والفضلاء لنشر مقالاتهم العقَدية على صفحات الموقع، ثم رفد المركز نشاطه بطريقةٍ جديدةٍ في

عـرض المصـادر عـلى شـكل وثائـق مصـورة مـع بيـان الـدلالات والمعـاني التـي تتضمنهـا الوثائـق المذكـورة. وتوسّـع نشـاطه إلى إنتـاج فيديوهـات تتنـاول أبـرز الشـبهات التـي تطـال السـاحة العقَديـة والتـي يـروّج لهـا أتباعهـا بـين النـاس، كموضـوع الـراب الـذي أخـذت بعـض الجماعـات تسـعى لإدخالـه في الشـعائر الحسـينية، فتصـدى لـه المركـز بـكل قـواه وبمختلـف الوسـائل التعبيريـة المتاحـة مـن الكلمـة والصـورة والصـوت.

كلّ هـذه النشـاطات يضطلـع بهـا الآن مركـز الدليـل العقائـدي مـع الوظيفـة الرئيسـة لـه، وهـي التصـدّي للشـبهات التـي تطـال الديـن، وتُشـيع الفـوضى الفكريـة بـين النـاس وخاصّـة مسـائل الإلحـاد، إضافـة إلى المسـائل التـي تطـال المذهـب الشريـف.



إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

قال رسول الله ﷺ

إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي

الشرفاوي

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ

الإمامة منصبٌ إلهي لا تسقط برفض الناس لها

المستشكل: رائد الجنابي

الإشكال: أئمة الرافضة لم يحكموا كلُّهم، والذين حكموا منهم لم يطعْهم كلُّ المسلمين، وبعضُهم تنازل عن الحكم لغيره كالحسن بن علي، وبعضهم غاب، واختفى كالمهدي الذي ينتظرونه، وهو آخر أئمتهم كما يزعمون، وهذا تفريطٌ واضح منهم في مناصبهم التي نصبهم الله فيها كما يدّعي الرافضة، أ فهذا الاضطراب والتخبط الذي يطلبون منا اعتناقه واعتقاده؟!

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الإمامة منصب وجعْلٌ إلهي أمرُه بيد الله سبحانه، وليس بيد البشر، فكما أن النبوة هي تشريع من الله فكذلك الإمامة، قال تعالى:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[(١)]، قال القرطبي: «هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع»[(٢)].

فالإمامة منصب إلهي شرعي لا تسقط برفض الناس لها، كما لا تسقط النبوة برفض الناس للنبي، فهذه مناصب إلهية بيد الله ورسوله ﷺ، وليس بيد الناس، فقد تكون الظروف ملائمةً لتطبيق الجانب الإجرائي منها (وهو الحكم) فيقوم الإمام المنصَّبُ من الله بهذه الوظيفة أفضلَ قيام (كما توفرت الظروف لأمير المؤمنين علي عليه السلام في تطبيق الجانب الإجرائي من الإمامة لما يقرب من أربع سنين وأكثر قليلًا)، وقد تكون هناك عوائق تمنع الإمام من أداء وظيفته الإجرائية بين الناس (كما في حالة صلح الإمام الحسن عليه السلام).

فهذا الحال للإمامة مشابهٌ لحال النبوة، فكما مَنعت الظروفُ النبي ﷺ من التبليغ في مكة، بحيث كان لا يحلّل ولا يحرّم مغلوبًا على أمره[(٣)]، وأيضًا كما أجبرت الظروفُ النبيَّ ﷺ أنْ يصالح المشركين في الحديبية، فكذلك الحال في موضوع الإمامة، فهذه الأحوال: من السكوت عن التبليغ مدةً من الزمن، ومصالحةُ المشركين لا يستفاد منها أنّ النبي ﷺ تنازل عن نبوته أو أنه قصّر في أدائها، بل كان ﷺ يعمل على وفق ضوابط شرعية من تقديم الأبرز على البارز، وتقدير الظروف المناسبة التي تسمح له بالتحرك والوصول إلى غرضه بأقل الخسائر، وكذلك الشأن في موضوع الإمامة، فمعاندة الناس لهم وعدم إطاعتهم لا يعني سلب الإمامة منه، بل هي ثابتةٌ لهم بتنصيب الله

---

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) تفسير القرطبي، ج١، ص٢٦٤.

(٣) يشير إلى ذلك ابن هشام في السيرة النبوية، ج١، ص٦٥٢.

ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لهم كما مرّ بيانُه بالنصوص النبوية الصحيحة الصريحة، فالإمامة لا تخضع لأمر الناس، كما يؤكد ذلك ابن تيمية حين يقول في كتابه «منهاج السنة النبوية»: (قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، وقد قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، ولم يكن ذلك بأنْ جعله ذا سيف يقاتل به جميع الناس، بل جعله بحيث يجب على الناس اتباعه، سواء أطاعوه أم عصوه)[١].

حتى غياب الإمام الثاني عشر عليه السلام إنما كان بأمر الله سبحانه، قال العلامة الأوحد - كما يصفه الذهبي - محمد بن طلحة الشافعي في كتابه «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول» وهو يتحدث عن الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام:

«وأما عمره: فإنه ولد في أيام المعتمد على الله، خاف فاختفى وإلى الآن، فلم يمكن ذكر ذلك؛ إذ من غاب - وإن انقطع خبره - لا توجب غيبته وانقطاع خبره الحكم بمقدار عمره ولا بانقضاء حياته، وقدرة الله واسعة، وحكمه وألطافه بعباده عظيمة عامة، ولوازم عظماء العلماء أن يدركوا حقائق مقدوراته وكنه قدرته لم يجدوا إلى ذلك سبيلًا، ولا نقل طرف تطلعهم إليه حسيرًا وحده كليلًا، وأملى عليهم لسان عجزهم عن الإحاطة به، وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا.

وليس ببدع ولا مستغرب تعمير بعض عباد الله المخلصين، ولا امتداد عمره إلى حين، فقد مد الله تعالى أعمار جمع كثير من خلقه من أصفيائه وأوليائه ومن مطروديه وأعدائه، فمن الأصفياء: عيسى عليه السلام،

(١) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص١٠٩.

ومنهـم الخـضر، وخُلـق آخـرون مـن الأنبياء طالـت أعمارُهم، حتـى جاز كل واحـد منهـم ألـف سنة أو قاربها كنـوح عليه السلام وغـيره.

وأمـا مـن الأعـداء المطروديـن: فإبليـس، وكذلـك الدجـال، ومـن غيرهـم كعـاد الأولى، كان فيهـم مـن عمـره مـا يقـارب الألـف، وكذلـك لقـمان صاحـب لبـد.

وكل هـذه لبيـان اتسـاع القـدرة الربانيـة في تعمـير بعـض خلقـه، فـأي مانـع يمنـع مـن امتـداد عمـر الصالـح الخلـف الناصـح إلى أن يظهـرُ فيعمـل مـا حكـم الله لـه بـه؟»[1].

وهذا المعنى من البيان الذي صدع به محمد بن طلحة الشافعي هنا هو الموافق عمليًّا لما صرح به علماء الأنساب في حق الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام الذين صرحوا بولادته وغيبته. فها هو النسابة العمري المشهور من أعلام القرن الخامس الهجري يصرح في كتابه «المجدي في أنساب الطالبيين» يقول ما نصه: «ومات أبو محمد عليه السلام وولده من نرجس عليها السلام معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك، وامتُحن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته، وشرَه جعفر بن علي إلى مال أخيه وحاله، فدفع أن يكون له ولد، وأعانه بعض الفراعنة على قبض جواري أخيه»[2].

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.

---

(١) مطالب السؤول، ص٤٨٩.

(٢) المجدي في أنساب الطالبيين، ص١٣٠.

تظافر الأدلة كتابًا وسنةً على حرمة الغناء

السائل: عبد الله أبو صفاء

السؤال: يحرّم بعض الناس سماع الأغاني مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، واحتجوا بأنّ بعض أئمة أهل البيت قالوا: إن لهو الحديث في الآية هو الغناء، فهل هذا الاستدلال بالآية صحيح؟ وما رأيكم في سماع الأغاني؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

تظافرت الأدلة كتابًا وسُنّة على حرمة الغناء، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[١].

(١) لقمان: ٦.

وأما أدلةُ السُّنة:

فعلى مذهب الشيعة الإمامية: روى الشيخ الكليني في «الكافي»: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن إسماعيل، عن ابن مسكان، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: الغناء مما وعد الله عز وجل عليه النار، وتلا هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾»[١].

قال المجلسي: «الحديث حسن، ويدل على أن الغناء من الكبائر، قوله تعالى: «ومن الناس» قال الطبرسي رحمه الله: نزلت في النضر بن الحارث، كان يتجر فيخرج إلى فارس، فيشتري أخبار الأعاجم، ويحدِّث بها قريشًا، ويقول لهم: إن محمدًا يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه، ويتركون استماع القرآن.

عن الكلبي: وقيل: نزلت في رجل اشترى جارية تغنيه ليلًا ونهارًا، عن ابن عباس. وأكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث الغناء، وهو قول ابن عباس وابن مسعود، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وأبي الحسن الرضا عليهم السلام»[٢].

وأما على مذهب أهل السُّنة: فقد أورد الترمذي نزولها من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام. في مثل ذلك أنزلت

(١) الكافي، ج٦، ص٤٣١.
(٢) مرآة العقول، ج٢٢، ص٣٠١.

عليه هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾». والحديث حسّنه الألباني وغيره، وأورده في السلسلة الصحيحة.

وفي «المستدرك على الصحيحين «للحاكم النيسابوري»: ««حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا بكار بن قتيبة القاضي، ثنا صفوان بن عيسى القاضي، ثنا حميد الخراط عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله)، قال: هو والله الغناء. هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص: صحيح، حميد هو ابن زياد، صالح الحديث»[(١)].

وجاء في «تحفة الأحوذي» للمباركفوري: «وأخرج ابن أبي شيبة بإسناد صحيح أن عبد الله سئل عن قوله تعالى: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث)، قال: الغناء والذي لا إله غيره. وأخرجه الحاكم، وصححه والبيهقي كذا في التلخيص»[(٢)].

وجاء في تفسير ابن كثير: «سئل ابن مسعود عن قول الله: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) قال: الغناء. وكذا قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومكحول وعمرو بن شعيب وعلي بن نديمة. وقال الحسن البصري: نزلت هذه الآية: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) في الغناء

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٤٤٥.
(٢) تحفة الأحوذي، ج٤، ص٤١٩.

والمزامير»[١].

ومن روايات أهل السنة: ما رواه البخاري: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»[٢].

وقد رد ابن الصلاح في مقدمته ما أفاده ابن حزم في رد الحديث المذكور بالانقطاع، قائلًا: «ولا التفات إلى أبي محمد بن حزم الظاهري الحافظ في رد ما أخرجه البخاري من حديث أبي عامر وأبي مالك الأشعري عن رسول الله ﷺ: «ليكونَنّ في أمتي أقوام يستحلون الحرير والخمر والمعازف»، الحديث من جهة أن البخاري أورده قائلًا: قال هشام بن عمار، وساقه بإسناده، فزعم ابن حزم أنه منقطع في ما بين البخاري وهشام، وجعله جوابًا عن الاحتجاج به على تحريم المعازف، وأخطأ في ذلك من وجوهٍ، والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح، والبخاري قد يفعل مثل ذلك لكونه قد ذكر ذلك الحديث في موضع آخر من كتابه مسندًا متصلًا، وقد يفعل ذلك لغير ذلك من الأسباب التي لا يصحبها خلل الانقطاع»[٣].

تسالم فقهاء الشيعة على تحريم الغناء:

قال السيد الخوئي قدس سره في «منهاج الصالحين»: «الغناء حرام إذا وقع على وجه اللهو والباطل، بمعنى أن تكون الكيفية كيفية لهوية، والعبرة في ذلك بالصدق العرفي، وكذا استماعه، ولا فرق في حرمته

(١) تفسير ابن كثير، ج٣، ص٤٥١.
(٢) صحيح البخاري، ج٦، ص٢٤٣.
(٣) مقدمة ابن الصلاح، ص٥٧؛ وانظر: فتح الباري، ج١٠، ص٤٥.

بـين وقوعـه في قـراءة ودعـاء ورثـاء وغيرهـا، ويسـتثنى منـه غنـاء النسـاء في الأعـراس إذا لم يضـم إليـه محـرم آخـر مـن الـضرب بالطبـل والتكلـم بالباطـل، ودخـول الرجـال على النسـاء وسـماع أصواتهـن على نحـو يوجب تهييـج الشـهوة، وإلا حـرم ذلـك»[١].

وقـال السـيد السيسـتاني (حفظـه الله) في «منهـاج الصالحين»: «الغنـاء حـرام فعلـه واسـتماعه والتكسـب بـه»[٢].

ومـن أقـوال فقهـاء أهـل السـنة نقـل الإجمـاع على منـع الاسـتماع إلى المعـازف والغنـاء:

فقـد جـاء في «الموسـوعة الفقهيـة» الصـادرة عـن وزارة الأوقـاف الكويتيـة: «حكـم الاسـتماع للمزمـار ونحـوه مـن الآلات النفخيـة: ذهـب جمهـور الفقهـاء مـن الحنفيـة والشـافعية والحنابلـة إلى عـدم جـواز الاسـتماع للمزمـار وغـيره مـن آلات اللهـو المحرمـة. جـاء في «الزواجـر» [لابـن حجر الهيثمـي الشـافعي]: قـال القرطبـي: أمـا المزامـير والكوبـة فـلا يختلـف في تحريـم سـماعها، ولم أسـمع عـن أحـد ممـن يعتبر قولـه مـن السـلف، وأئمـة الخلـف مـن يبيـح ذلـك، وكيـف لا يحـرم؟ وهـو شـعار أهـل الخمـور والفسـوق، ومهيـج للشـهوات والفسـاد والمجـون، ومـا كان كذلـك لم يشـك في تحريمـه ولا في تفسـيق فاعلـه وتأثيمـه»[٣].

ومـن حكـى الإجمـاع ابـن الصـلاح، قـال في فتـاواه: «إن الدف والشـبابة

(١) منهاج الصالحين، ج٢، مسألة: ١٧.
(٢) منهاج الصالحين، ج٢، مسألة: ٢٠.
(٣) الموسوعة الفقهية، ج٣٧، ص١٠٧.

والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحد ممن يعتد بقوله في الإجماع والإخلاف أنه أباح هذا السماع... وهكذا لا يعتد بخلاف من خالف فيه من الظاهرية لتقاصرهم عن درجة الاجتهاد في أحكام الشريعة، فإذن هذا السماع غير مباح بإجماع أهل الحل والعقد من المسلمين»[١].

ومما تقدم يتضح أن موضوع حرمة الغناء كتابًا وسنةً، وإجماع فتاوى الفقهاء من جميع المذاهب الإسلامية أمر متسالم عليه[٢].

الحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

❁❁❁

(١) فتاوى ابن الصلاح، ج٢، ص٥٠١.

(٢) من اجابات الشيخ خالد البغدادي حفظه الله.

عرض أعمال العباد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أئمة أهل البيت عليهم السلام

السائل: علاء الموسوي

السؤال: السلام عليكم.. وردت عدة روايات تنصّ على عرض أعمال الناس على رسول الله، وأذكر لكم منها هذه الرواية: «إنّ الأعمال تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبرارها وفجارها» فهل هذا العرض له واقعية؟ وهل تعرض الأعمال على أئمة أهل البيت كما تعرض على الرسول؟ وكيف يمكن إثبات هذه المسألة؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إنَّ الشريعة الإسلامية ضمّتْ تحتَ جوانحِها عدّةَ حقائق، وأعظمُ تلك الحقائقِ الرقابةُ الإلهية والاعتقاد بيوم الجزاء، وهاتان الحقيقتان تعدّان الأساس الروحي والمعنوي لكلِّ متمسّك بالأخلاق والقيم الإنسانية، وبدونهما تفرغ تلك القيم والأمور الخُلقية من محتواها

الجوهري، فتكونان مجرد مفردات ميّتة لا معنى لها ولا حيوية فيها ولا حركة.

ونحن نرى أنّ القرآن الكريم في عدّة مواضع يُذكِّر الإنسان بأنّ الله عزّ وجلّ رقيبٌ حسيبٌ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[١] وقال تقدست أسماؤه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾[٢].

فهذه الآيات الكريمة تشكل دافعًا لدى الإنسان ومحفّزًا له على إصلاح ما فسد من سلوكه وعمله ومراقبة نفسه وما يصدر عنها، فيقوى على كبح جماح مشتهياتها ومخالفة أهوائها؛ لعلمه بأنّه تحت الرقابة الإلهية، وأنّه سيُجازى على كلِّ صغيرة وكبيرةٍ، إنْ حسنة فحسنة وإنْ سيئة فسيئة.

إنّ أي مشروع ما لم يحصل تحتَ رقابةٍ مشددة فمآلَه الفشل، فالتهديد والوعيد بالطرد من العمل أو خصم نسبة معينة من الأجور يدفع العامل إلى بذل قصارى الجهد في إتمام وإنجاز عمله على أكمل وجه، وبالصورة التي يتمّ بها قبوله، ويستحق عليه الأجرة، بل يرتقي الأمر إلى التطلع لنيل مكافأة، سواء كانت مادية أو معنوية.

ومن جملة الآيات التي لها الأثر النفسي المحفّزِ والباعث على توخي أداء الواجبات وإتقان العمل - كائنًا ما كان، دنيويًّا أو أخرويًّا-

(١) النساء:١.

(٢) الأحزاب: ٥٢.

ومراقبته والإتيان به على الوجه الأكمل، قوله تقدست أسماؤه: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١).

يقول العلامة الطباطبائي في الميزان: «فالآية مسوقة لندب الناس إلى مراقبة أعمالهم بتذكيرهم أنَّ لأعمالهم من خير أو شر حقائق غير مستورة بستر، وأنَّ لها رقباء شهداء سيطّلعون عليها، ويرون حقائقها، وهم رسول الله وشهداء الأعمال من المؤمنين، والله من ورائِهم محيطٌ، فهو تعالى يراها، وهم يرونها، ثم إنّ الله سبحانه سيكشفُ عنها الغطاء يوم القيامة للعاملين أنفسهم كما قال: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾(٢) ففرقٌ عظيم بين أن يأتي الإنسان بعمل في الخلوة لا يطلع عليه أحد، وبين أن يعمل ذلك العمل بعينه بين ملأٍ من الناظرين جلوة، وهو يرى أنه كذلك»(٣).

والأخبار الواردة في خصوص عرض أعمال العباد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أئمة أهل البيت عليهم السلام مستفيضة، بل ربما بلغت حدّ التواتر مع مطابقتها لنص القرآن الكريم، قال الشيخ هادي النجفي في كتابه (ألف حديث في المؤمن): «الروايات في هذا المجال كثيرة ومتواترة، وتدل على أنّ أعمال جميع العباد تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمير المؤمنين عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام والأئمة عليهم السلام واحدًا بعد واحد إلى إمام

(١) التوبة: ١٠٥.
(٢) ق: ٢٢.
(٣) تفسير الميزان، ج٩، ص٣٨.

العصر وناموس الدهر الحجة بن الحسن العسكري، عجّل الله تعالى فرجه الشريف...»[١].

ونحن ذاكرون في ما يأتي الأخبار التي نصتْ على عرض أعمال العباد على رسول الله ﷺ وعلى أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهي كالآتي:

روى ثقة الإسلام الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما لكم تسوؤون رسول الله ﷺ؟! فقال رجلٌ: كيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون أنّ أعمالكم تُعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله، وسرّوه»[٢]، قال العلامة المجلسي: «حسنٌ موثق»[٣].

وبسنده عن الوشاء، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «إنَّ الأعمال تُعرض على رسول الله ﷺ أبرارها وفجارها»، وقال العلامة المجلسي -أيضًا- في المرآة: «صحيح»[٤].

وفيه أيضًا بسنده عن يعقوب بن شعيب، قال: «سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: هم الأئمة»[٥]، وقال الشيخ هادي النجفي: «الرواية صحيحة الإسناد»[٦].

(١) ألف حديث في المؤمن، ص٢٣٢.
(٢) الكافي، ج١، ص٢٢٠ح٣.
(٣) مرآة الكمال، ج٣، ص٥.
(٤) مرآة الكمال، ج٣، ص٦.
(٥) الكافي، ج١، ص٢١٩، ح ٢.
(٦) ألف حديث في المؤمن، ج٧، ص١٣٧.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: «هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام تعرض عليهم أعمال العباد كل خميس»[(١)]، والرواية معتبرة الإسناد[(٢)].

وعن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الأعمال تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: «ما فيه شك، ثم تلا هذه الآية قال: ﴿اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: إنَّ لله شهداء في أرضه»[(٣)]، والرواية صحيحة الإسناد[(٤)].

وهذا ليس مذهب الشيعة فحسب، بل هو مذهب أهل السنة أيضًا، فمن جملة ما استدلوا به حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: «حياتي خيرٌ لكم، تحدِّثون، ويحدَّث لكم، ومماتي خيرٌ لكم، تُعرضُ عليّ أعمالُكم، فما رأيت من خير حمدت الله، وإنْ يكن سوى ذلك استغفرت لكم».

رواه البزار في مسنده «كشف الأستار عن زَوَائِدِ البزار»[(٥)]، بإسنادٍ رجالُه رجالُ الصحيح، كما قال الحافظ نُور الدين الهيثمي في «مجمع الزوائد»[(٦)].

---

(١) بصائر الدرجات، ص٤٢٧، ح٢.
(٢) انظر: موسوعة أحاديث أهل البيت، ج٧، ص١٤٠.
(٣) بصائر الدرجات، ص٤٣٠، ح ٧.
(٤) انظر: موسوعة أحاديث أهل البيت، ج٧، ص١٤١.
(٥) انظر: كشف الأستار عن زوائد البزار، ج١، ص٣٩٧.
(٦) مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٤.

وقال الحافظ السيوطي في «الخصائص الكُبرى»: «سنده صحيح»[(١)]، وقال الحافظان العراقيان - الزين وابنه وَلي الدين - في «طرح التثريب»: «إسناده جَيِّد»[(٢)]. انتهى.

فاتضح من جميع ما تقدّم بما لا يترك مجالًا للشك أنَّ أعمال جميع العباد تُعرضُ على رسول الله ﷺ وعلى أئمة أهل البيت عليهم السلام، الأمر الذي يلزم العبدَ مراعاةُ أعماله الصادرة عنه بحق نفسه وبحق غيره، وأنْ يحسب لكلّ حركة يقوم بها ألف حساب، مثل التكلّم والنظر وأمثال ذلك، يقول الحق تعالى: ﴿إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[(٣)].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) الخصائص الكُبرى، ج٢، ص٢٨١.
(٢) طرح التثريب، ج٣، ص٢٩٧.
(٣) آل عمران: ٢٩.

القرآن هو المؤسس لمقالة انقلاب الصحابة على الأعقاب

المستشكل: بشار الديلمي

الإشكال: يا شيعة عليّ، اقرأوا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ فإذا فهمتم من هذه الآية ارتداد صحابة النبي ﷺ، وصرتم تتهمونهم جهارًا نهارًا في كتبكم ومصنفاتكم الحديثية، وتكفرونهم علنًا وأمام الملإ، فهذه الآية لا تستثني أحدًا، بمعنى أنها تشمل أيضًا علي بن أبي طالب؛ لأنها عامة، والخطاب عام، فيكون هو ممن ارتد، وانقلب على عقبيه مع المرتدين والمنقلبين، فكفاكم تهمًا لصحابة الرسول، وكفاكم تكفيرًا لهم.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إنّ الذكر الحكيم قد تنبّأ بارتداد لفيفٍ من المحدِقين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة أُحد، التي وقعت في السنة الثالثة من الهجرة، فقال سبحانه:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾(١).

فقد أخبر الله تعالى عن ردتهم بعد نبيه ﷺ على القطع والثبات، وقال جل اسمه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٢)، فأنذرهم الله سبحانه من الفتنة في الدين، وأعلمهم أنها تشملهم على العموم إلا من خرج بعصمة الله من الذنوب.

فالآية صرّحت بارتداد أكثر الصحابة ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ...﴾، وقد وردت جملةٌ من الأحاديث تؤكد ارتداد الصحابة، ذُكر بعضها في صحيح البخاري الذي تعدّونه بعد القرآن الكريم في الرتبة والصحّة، وكأنها واردةٌ مورد التفسير لهذه الآية، ومؤكدة لتحقق مضمونها بعد وفاته ﷺ، فقد أورد البخاري في صحيحه روايات عن رسول الله ﷺ يُخبر فيها عن ارتداد بعض أصحابه، وأنّهم سيُساقون إلى النار، فيقول: يا رب أصحابي، فيُقال له: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى، فقد روى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «بينا أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم فقلت: أين؟ قال إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك

(١) آل عمران: ١٤٤.
(٢) الأنفال: ٢٥.

على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم. قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنكم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»[(١)].

وأخرج البخاري -أيضًا- عن البراء بن عازب، أنه قيل له: «طوبى لك، صحبت النبي وبايعته تحت الشجرة، قال: إنّك لا تدري ما أحدثنا بعده»[(٢)]، وهذا إقرار واضح، وإقرار العقلاء على أنفسهم حجة!!

فالآية الكريمة والطوائف الكثيرة من الأحاديث الصحيحة على مبانيكم كلّها تخبر عن ارتداد الصحابة، فلا يمكن قبول أي اتهام وانتقاد يوجّه للشيعة الإمامية بأنّهم يتهمون صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالارتداد؛ لأن القرآن الكريم هو أول من أسس لهذه المقالة، ثم إن صحاحكم شيدت بنيان هذه المقالة على ما أسسه القرآن الكريم وبما أن صحاحكم حجة؛ لأنّ صحتها تالية لصحة كتاب الله كما تعتقدون، فهذه المقالة حجة عليكم وآخذة بأعناقكم لا بأعناق غيركم ممن تتهمون.

وأما قولك: إن هذه الآية لا تستثني أحدًا، فتشمل علي بن أبي طالب عليه السلام لأن الآية عامة، والخطاب عام، فيكون هو ممن ارتد، وانقلب على عقبيه مع المرتدين والمنقلبين.

---

(١) صحيح البخاري، ج٨، ص١٥٠-١٥١.

(٢) صحيح البخاري، ج٥، ص١٦٠.

فجوابه: لولا ورود المخصص لعموم آية الانقلاب من الكتاب والسنة لجاز لك أن تتوهم إرادة العموم، إلا أنك تجهل أو تتجاهل ورود المخصص المتصل في ذيل الآية بقوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾، الذي يدل دلالة صريحة وواضحة على وجود شاكرين بعد انقلاب أكثر الصحابة على الأعقاب.

كما أنك تجهل أو تتجاهل -أيضًا- ورود المخصص المنفصل من قول النبي ﷺ في حديث الحوض: (فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم) أي إلا القليل، وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾، وأول الشاكرين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد روى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس، قوله: «كان عليّ يقول في حياة رسول الله ﷺ: إن الله يقول: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾، والله لا نَنقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأقاتلن عَلى ما قاتل عليه حتى أموت، والله أني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه، فمن أحق به مني؟»[١]، والحديث رواه النسائي في الخصائص من (السنن الكبرى)[٢]، والهيثمي في (مجمع الزوائد) وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح»[٣].

فافهم وتدبر، والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٢٦.
(٢) السنن الكبرى للنسائي، ج٥، ص١٢٥.
(٣) مجمع الزوائد، ج٩، ص١٣٤.

المتمسّكون بالكتاب والعترة هم من يصدُق عليهم أهل السُنة حقًّا

المستشكل: عبد الغفور عبد الله

الإشكال: عبارة «أهل السُّنة والجماعة» هي وصفٌ قبل أن تكون مسمّى، لذلك فهي لا تنطبق إلا على أهل السنة فعلًا، والرافضة المتسمُّون بالشيعة الإمامية الاثني عشرية لا تنطبق عليهم لا اسمًا ولا صفة، وهم بعيدون عن ذلك بعد المشرقين، فلا حجة لهم ولا برهان، وهم في ضلالهم يعمهون، يتمسكون بالكتاب، ويتركون السُّنة.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

ليس العبرة في الاسم والعنوان، بل بانطباق الاسم على المسمَّى، والعنوانِ على المعنون، وبالموافقة للحق واتباعه والعمل على طبقه، وإذا ما نظرنا في سنّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم القوليّة والفعليّة والتقريريّة، سوف نتبيّن أيَّ الفريقين أقرب إليها، الشيعة الإمامية أم من يسمّون أنفسهم أهل

السنة والجماعة؟

فنقول: لمّا قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١]، وكان قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الآية قائمًا مقام قول الله عزّ وجلّ، ورجعنا إلى السنة الشريفة وجدنا حديثًا صحيحًا، بل متواترًا كما شهد به ابن حجر الهيتمي في «الصواعق المحرقة» وغيره، بأن طريق النجاة يمر عبر الإيمان والتمسك بالعترة الطاهرة، فقد جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدًا»[٢].

والعترة هم (الآل) و (الأهل) كما صرح به أقطاب اللغة، فقد قال ابن منظور: «وآل الله، وآل رسوله، أولياؤه، أصلها (أهل) ثمّ أُبدلت الهاء همزة، فصارت في التقدير (أَأْلٌ)، فلمّا توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفًا»[٣].

فهؤلاء العترة هم أحد الثقلين، والثقل كل نفيس خطير مصون، قال النووي: «سميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل: لثقل العمل بهما»[٤].

كما صرّح في لسان العرب بأنّ (العترة) هم (أهل البيت) مستدلًّا

(١) الحشر: ٧.
(٢) انظر: الصواعق، ص١٣٦.
(٣) لسان العرب، ج١، ص٢٥٣ مادّة أهل.
(٤) انظر: شرح مسلم للنووي، ج١٥، ص١٧٥.

بحديث: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي» قال: «فجعل العترة أهل البيت»[١].

وأهل البيت مركب لفظي له معنى لغوي وحقيقة لغوية، وكذلك له معنى شرعي وحقيقة شرعية، وثمة اختلاف بين الحقيقتين، ولا خلاف في تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي، قال الشوكاني: «لا إجمال في ما كان له مسمى لغوي ومسمى شرعي كالصوم والصلاة عند الجمهور، بل يجب الحمل على المعنى الشرعي؛ لأن النبي ﷺ بعث لبيان الشرعيات لا لبيان معاني الألفاظ اللغوية، والشرع طارئ على اللغة وناسخ لها، فالحمل على الناسخ المتأخر أولى»[٢].

وفي بيان المراد من أهل البيت، قال ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري): «وفي ذكر البيت معنى آخر؛ لأنّ مرجع أهل بيت النبي ﷺ إليها (أي إلى خديجة)؛ لما ثبت في تفسير قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، قالت أمّ سلَمة: (لمّا نزلت دعا النبيُّ ﷺ فاطمة وعليًّا والحسن والحسين، فجلّلهم بكساءٍ، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»، الحديث أخرجه الترمذي وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة؛ لأن الحسنين من فاطمة، وفاطمة بنتُها، وعليٌّ نشأ في بيت خديجة، وهو صغير، ثمّ تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبويّ إلى خديجة دون غيرها»[٣].

---

(١) لسان العرب، ج٩، ص٣٤.
(٢) إرشاد الفحول، ج٢، ص٢٢.
(٣) فتح الباري، ج١١، ص١٣٤.

وقال فخر الدين الرازي: «وأنا أقول: آل محمد ﷺ هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعليًّا والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشد التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل»[(١)].

وقال ابن قيِّمِ الجَوزيّة، في تفسيره: «قوله في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين: اللهم هؤلاء أهل بيتي، رواه مسلم، فإن هذا لا ينفي دخول غيرهم من أهل بيته في لفظ أهل البيت، ولكنّ هؤلاء أحقُّ مَن دخل في لفظ أهل بيته»[(٢)].

وها قد تبين لك من هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبقي علينا معرفة من الذين تمسكوا بالكتاب والعترة (أهل البيت) بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ليصدق عليهم أنهم «أهل السُّنة» حقًّا وصدقًا:

جاء عن ابن تيمية في «مسألة تعليق الطلاق» وفي معرض كلامه عن بعض الأحكام الشرعية في مسائل الطلاق وممن وافق الشافعي فيها، قال: «ومن وافقه كابن حزم من السُّنة، وكالمفيد والطوسي والموسوي وغيرهم من شيوخ الشيعة، وهم ينقلون ذلك عن فقهاء أهل البيت (إلى أن يقول عن الشيعة) لكنّ جمهور ما ينقلونه عن الشريعة موافق لقول جمهور المسلمين، فيه ما هو من مواقع الإجماع، وفيه ما فيه نزاع بين أهل السنة، فليس الغالب في ما ينقلونه عن هؤلاء الأئمة من

(١) تفسير الرازي، ج٢٧، ص٥٩٥.
(٢) تفسير ابن القيم، ج٢، ص٢٧٥.

مسائل الشرع الكذب، بل الغالب عليه الصدق»[١]. انتهى.

وقال في «منهاج السنّة النبوية» وهو يتحدث عن الشيعة من أين يأخذون أحكام دينهم: «وأما شرعياتهم فعمدتهم فيها على ما ينقل عن بعض أهل البيت، مثل أبي جعفر الباقر، وجعفر بن محمد الصادق وغيرهما»[٢].

وأما ابن قيم الجوزيّة فقد جاء عنه في كتابه «الصواعق المرسلة»: «الوجه التاسع: أن فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنه لا يقع الطلاق المحلوف به، وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمد وغيره من أهل البيت، وهب أنّ مكابرًا كذبهم كلهم، وقال: قد تواطؤوا على الكذب عن أهل البيت، ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة، فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلهم بالكذب والجهل، وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعة من الشيعة، وحملوا حديثهم، واحتج به المسلمون...»[٣]. انتهى.

ولنقف الآن على تعريف الشيعة الإمامية:

قال الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل»: «الشيعة هم الذين شايعوا عليًّا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصيّة، إما جليًّا وإما خفيًّا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من

(١) مسألة تعليق الطلاق، ص٦٩٧، ٦٩٨.
(٢) منهاج السنة النبوية ٥: ١٦٢.
(٣) الصواعق المرسلة ج١: ص٦١٦- ٦١٧.

أولاده»(١).

وقال ابن خلدون: «اعلم أنّ الشيعة لغةً: الصَّحْب والأتْبَاع، ويُطلَق في عُرْف الفقهاء والمتكلِّمين من الخلَف والسلف على أَتْبَاع عليّ وبنيه رضي الله عنهم»(٢).

فالشيعة إذن -بحسب تصريحات ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما- هم أتباع أهل البيت عليهم السلام يأخذون دينهم عنهم، وأنهم صادقون في هذا النقل والاتباع، فيصدق لذلك عليهم أنهم هم أهل السُّنة النبوية.

ومن يسمّون أنفسهم «أهل السُّنة والجماعة» لا يأخذون فقههم ولا عقائدهم عن العترة الطاهرة بشهادة ابن تيمية الذي شهد في كتابه «منهاج السنة النبوية» أن أئمة المذاهب السنية لم يأخذوا من فقه عليّ عليه السلام أي شيء يذكر(٣).

وكذلك الشيخ الألباني في كتابه «الفتاوى المهمة» يقول بصراحة ووضوح: «يكفي عندنا القرآن والسنة، وهم عندهم القرآن وأهل البيت»(٤).

فهذه شهادة أخرى من الألباني صريحة وواضحة بأن الذين يتابعون أهل البيت هم الشيعة دون السنة، وهذا يثبت أنهم هم أهل

---

(١) الملل والنحل، ج١، ص١٤٦.
(٢) مقدمة ابن خلدون، ص١٩٦.
(٣) ينظر: منهاج السنة النبوية، ج٧، ص ٥٢٩.
(٤) الفتاوى المهمة في التفرقة بين السنة والشيعة، ص ١٥٤.

السنة بحسب حديث الثقلين المتقدم دون غيرهم؛ لأنّ من يسمون أنفسهم بـ(أهل السنة والجماعة)، هم أنفسهم يعتقدون أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير معصوم في ما يصدر عنه عدا الوحي، فيجوِّزون بذلك مخالفته وعصيانه من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون؛ وغير المعصوم غير واجب الطاعة شرعًا وعقلًا، والاعتقاد بخطئه يلزم عدم طاعته، وطالما أنه كذلك في معتقدهم فلا يستقيم إطلاق تسمية «أهل السنة» عليهم، لأن السنة كما لا يخفى هي مجموع أفعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقواله وتقاريره، فكيف يصح منهم اعتماد سنته مع اعتقادهم بعدم عصمته؟!

وهل في التناقض أقبح من هذا؟!!

وحتى يثبت لك أن أهل السنة تركوا السنة، فإليك بعض أقوال أئمتهم في جواز ترك السنة:

يقول ابن تيمية: «ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعارًا لهم - يقصد الشيعة - فإنه وإن لم يكن الترك واجبًا لذلك، لكنْ في إظهار ذلك مشابهةٌ لهم، فلا تميز السني من الرافضي»[1].

وقال الشيخ محمد بن عبد الرحمن الدمشقي في كتاب (رحمة الأمة في اختلاف الأئمة): «السنة في القبر التسطيح، وهو أولى على الراجح من مذهب الشافعي، وقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: التسنيم أولى؛ لأن التسطيح صار شعارًا للشيعة»[2].

(١) منهاج السنة، ج٢، ص١٤٣.

(٢) هامش الميزان، الشعراني، ج١، ص٨٨.

وقال ابن حجر العسقلاني: «تنبيه: اختلف في السلام على غير الأنبياء بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي، فقيل: يشرع مطلقًا. وقيل: بل تبعًا، ولا يفرد لواحد لكونه شعارًا للرافضة»[(١)].

وقال الزمخشري: (القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾. وقوله تعالى: ﴿وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾. وقوله ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى». ولكنّ للعلماء تفصيلًا في ذلك، وهو: أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها، وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه، لأن ذلك شعار لذكر رسول الله ﷺ، ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض، وقال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم»)[(٢)(٣)].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

❁❁❁

---

(١) فتح الباري، ج١١، ص١٤٢.
(٢) تفسير الكشاف، ج٢، ص٤٣٩.
(٣) ينظر كتاب: وركبت السفينة، ص٣٧١.

مصاحبة ومصاهرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تدل على أرجحية المصاحب والمصاهر

المستشكل: بشار التميمي.

الإشكال: الرافضة تقصّدوا القدحَ في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، حتى يُقال عنه: رجلُ سوءٍ، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابُه صالحين، وعلى معتقدهم بالصحابة، فالرّسولُ صلى الله عليه وآله لما صاحبَ وصاهرَ أبا بكرٍ وعمرَ كانَ مخطئًا.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

لا وجه لتلك الملازمة التي مفادها: إنْ كان أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صالحين دلّ ذلك على صلاحه، وإنْ كانوا سيئين دلّ على سوئه (حاشا نبيّ العظمةِ والقداسة).

وإذا كان كذلك، فما تقولون بحقّ نبيِّ الله موسى عليه السلام الذي ارتدّ أصحابه من بعده، فاتخذوا العجل إلهًا لهم، وأطاعوا السامريّ،

وموسى عليه السلام حيٌّ لم يمتْ، ولم يبتعد عن موضعهم، ولا طالت غيبتُه؟

فهل يُقال: إن ما اقترفه أصحابُه من سوءٍ يلزم من ذلك أنه رجل سوء؟!

وماذا تقولون في أمر يهوذا الإسخريوطي وغيره، الذي كان واحدًا من الحواريّين، ثم كفر، وخانَ المسيح عيسى بن مريم عليه السلام؟

فهل يُقال: إنه رجل سوء، أو إنه أخطأ في اختيار أصحابه؟!

وأما مسألة المصاحبة والمصاهرة فهي لا تعني بالضرورة ارتفاع درجة إيمان المصاحب والمصاهر، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو نفسه مَن أسّس قاعدة التعامل مع المسلم على ظاهر إسلامه دون الفحص عن خفاياه ونواياه.

ومهما يكن، فإن المصاهرة لا تدل على أكثر من اتصال الوشائج والروابط وإحياء السُّنة، أما أنها تدل على أرجحية الصهر فدون إثباته خرط القَتاد. ولقد كان من أصهار النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبناء أبي لهب، وأُمهما حمالة الحطب!!

فإنْ قلت: ألم يكن علي بن أبي طالب عليه السلام صهرًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونال ما ناله بالمصاهرة؟

نقول: لّما أعلن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن استخلاف عليّ عليه السلام بعده، لم يكن ينظر للترابط النسبي أو المصاهرة بينه وبين عليّ عليه السلام، فلم يكن صلى الله عليه وآله وسلم ينظر لسوى القابليات والمؤهلات التي اجتمعت، وتوافرت في الإمام عليّ عليه السلام التي ترشحه لقيادة التجربة الإسلاميّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فلم يقل ﷺ: إنّ عليًّا صهري، أو ابن عمّي، وإنّما كان يشيد بالإخلاص والعظمة والاستيعاب وسائر المؤهلات في الإمام علي عليه السلام، وقد أوضح ﷺ للأمة أنّ المعيار هو درجة العلاقة مع الرسالة والقرآن، وليس شيئًا آخر، فكان يقول: «إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»، فبيّن أنّ الترابط الدائم مع كتاب الله عزّ وجلّ هو الذي رشّح أئمة للمسلمين من أهل البيت عليهم السلام، وليس شيئًا آخر.

وأما أنّ الشيعة الإمامية يتقصدون القدح في أصحاب النبي ﷺ فقد وجدنا القرآن الكريم نفسه يحدثنا عن الصحابة بأن فيهم شبهة الارتداد والانقلاب على الأعقاب، يقول تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وجاءتنا رواياتٌ صريحة صحيحة تقول بحصول الارتداد من الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهي المُسمّاة بأحاديث الحوض، وإليك طرفًا منها:

(١) آل عمران: ١٤٤.
(٢) المائدة: ٥٤.

ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أنسٍ، عن النبي ﷺ، قال: «ليردَنّ عليّ ناسٌ من أصحابي الحوض، حتى عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[(١)].

وروى -أيضًا- بسنده عن سهل بن سعدٍ، قال: قال النبي ﷺ: («إني فرطكم على الحوض، مَن مرّ عليَّ شرب، ومَن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردنّ علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم»

قال أبو حازمٍ: فسمعني النعمان بن أبي عياشٍ، فقال: هكذا سمعت من سهلٍ؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيدٍ الخدري، لسمعته وهو يزيد فيها: « فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا لمن غيّر بعدي»)[(٢)].

وروى - أيضًا - بسنده عن ابن المسيب، أنه كان يحدِّث عن أصحاب النبي ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «يرد على الحوض رجالٌ من أصحابي، فيُحلؤون عنه، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى»[(٣)].

كما روى مسلمٌ في صحيحه بسنده عن أبي حازمٍ، قال: (سمعت سهلًا، يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرِب، ومن شرِب لم يظمأ أبدًا، وليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم» قال أبو حازمٍ: فسمع النعمان بن أبي

(١) صحيح البخاري، ج٨، ص١٢٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

عياشٍ، وأنا أحدثهم هذا الحديث، فقال: هكذا سمعت سهلًا يقول؟ قال: فقلت: نعم. قال: وأنا أشهد على أبي سعيدٍ الخدري، لسمعته يزيد فيقول «إنهم مني»، فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: «سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي»)[1].

فهذه الأحاديث واضحة جدًّا، وفيها عبارات صريحةٌ جدًّا لا تقبل التأويل، نحو قوله ﷺ: (من أصحابي)، وقوله: (فأقول يا رب أصحابي)، الظاهرة في أن المبدِّلين من بعد النبيّ ﷺ والمحدِثين في الدين هم ممن صحبه ﷺ وخالطه، وهذا هو الذي يقتضيه الظهور للعبارات المذكورة.

فالقرآن هو أول من قدح ببعض هؤلاء الصحابة، والبخاري ومسلم أكدا هذا القدح في صحيحهما، والشيعة الإمامية إنما يقتدون بكتاب الله وبسنّة رسول الله ﷺ.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٩٣، حديث٢٢٩٠.

أتباع أهل البيت يتحلّون بأدبٍ رفيع يعرفه القاصي والداني

السائل: مرتضى أبو كرار

السؤال والإشكال: دائمًا ما يردِّد إخواننا من أهل السنة أن الشيعة يسبون، ويشتمون الصحابة، ويسبون زوجات النبي ﷺ، ويذكرون أنّ اللعن والنقد هو في الحقيقة سبٌّ وشتم للصحابة، وحكم الشيعة هو الكفر، وقد أفتى بذلك علماء أهل السنّة، ومَن يقول خلاف ذلك فهو جاهلٌ حاقد لا يفقه ما يقول، ومن نماذج ما يعتبرونه سبًّا وشتمًا هو قولهم:

إن الشيعة يقولون بعدم شرعية خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ويقولون بعدم عدالة الصحابة، ولا يتوقفون عن ذكر الحوادث التاريخية وما شجر بين الصحابة وحال أزواجه وغيرها من أمور، كلُّها داخلةٌ تحت عنوان السب والشتم المحرم شرعًا... نرجو منكم ردًّا عليهم لنجيبهم به، وشكرًا لكم.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى محمد وآله المطهرين..

من الواضح جدًّا: أن معنى السب يغاير معنى اللعن، وكلاهما

يغايـران معنـى النقـد.

قـال ابـن عاشـور في تفسـيره: «السـبّ كلامٌ يـدلّ عـلى تحقـير أحـد أو نسبته إلى نقيصـة أو معـرّة، بالباطـل أو بالحـقّ،... وليـس مـن السـبّ النسبةُ إلى خطإٍ في الـرّأي أو العمـلِ، ولا النّسـبة إلى ضـلال في الدّيـن إن كان صـدر مـن مخالـف في الدّيـن»[١].

والنقـد هـو دراسـة حيـاة الشـخص مـن منظـارٍ موضوعـي، وبيـان مـا لـه مـن الفضـل والكرامـة، أو مـا اقـترف مـن أفعـالٍ وأقـوال شـنيعة، فيثنـي عليـه تـارة، ويجرحـه أخـرى، كـما جـرى عليهـا القـرآن الكريـم، حيـث قـص حيـاة الماضيـن صالحِهـم وطالحهـم لغايـات صحيحـة، قـال سـبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾[٢]، وكـما قـال سـبحانه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[٣]، إلى غـير ذلـك مـن الآيـات التـي جـاءت تنقـد سِـير الماضـين، وبيـان مـا هـم عليـه مـن الهـدى والضـلال.. ولا تفـرِّق بـين جيـل وآخـر.

واللعـن هـو الطـرد والإبعـاد مـن الله، ومـن الخلـق طلـبُ طـرد الملعـون وإبعـاده مـن الله بلفـظ اللعـن، لا مطلـق السـبّ والشـتم. كـما في قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[٤].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ج٧، ص٤٢٧.
(٢) يوسف:٧.
(٣) فصلت:١٧.
(٤) البقرة:١٥٩.

واللعن له محملٌ شرعيٌّ، ولا بدّ من حمله عليه، وإلى هذا المعنى أشار الشوكاني في (إرشاد الفحول)، قال: «إذا كان للفظ محملٌ شرعيٌّ ومحمل لُغويّ فإنه يُحمل على المحمل الشرعي.. وهكذا إذا كان له مسمىً شرعيٌّ ومسمى لغوي، فإنه يُحمل على الشرعي»[١].

والمحمل الشرعي لمفهوم اللعن هو الطرد من جهة الحق ومن الرحمة والخير، فيكون استعمال المادة في طرد الناس وإبعادهم استعمالًا حقيقيًّا إنْ كان النظرُ إلى كونه في مورد سخطٍ وغضبٍ من جانب الله تعالى بعصيانٍ أو ظلم ونحو ذلك، وليس هو السبّ أو الشتم.

واللعن بمسألةٍ من الناس جاء على لسان القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٢]، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٣]، وفي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[٤].

إذن فاللعن بمسألة الناس هو طلبُ طرد الملعون من رحمة الله لا مطلق السبّ والشتم، كما صرّح بذلك ابن عبد الوهاب في (كتاب التوحيد) ردًّا على أحد أسلافه حين قال: «أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السبّ والدعاء» فاعترض عليه ابن عبد الوهاب قائلًا: «قلت: الظاهر أنه من الخلق طلب طرد الملعون وإبعاده من الله

(١) إرشاد الفحول، ج٢، ص٢٣.
(٢) آل عمران: ٦١.
(٣) هود: ١٨.
(٤) الأحزاب: ٦٨.

بلفظ اللعن، لا مطلق السبّ والشتم»[١].

وقال شارح كتاب التوحيد المتقدِّم ذكره، ما نصُّه: «السبّ هو الشتم والتقبيح، وهو غير اللعن... مثال السبّ: أنْ يقول: قبّحه الله، أو يذكر فيه صفات قبيحة»[٢].

والشيعة إذا استعانوا باللعن، على أنه حكم قرآني، إنما يلعنون من لعنه الله ورسوله، ولا يتجاوزون حدود القرآن والسنة في ذلك، ويجرون قواعد الجرح والتعديل على الجميع بما في ذلك الصحابة بغية التثبت والاحتياط للدين كما أمر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[٣].

وأما السبّ الذي هو ظاهرة منبوذة ومفردة سلوكية مرفوضة من وجهة نظر القرآن الكريم والسنة النبوية وأئمة أهل البيت عليهم السلام، فليس ذلك من أخلاق الشيعة الذين ينتسبون إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأهل البيت الطاهرين عليهم السلام، فهم يتحلّون بأدب رفيع يعرفه القاصي والداني.

وإنْ قال قائلهم: لكننا وجدنا بعض الشيعة يسبّون بعض الصحابة على المواقع وفي الأنترنت.

فنقول: هذه حالات شاذةٌ ونادرة، وليست ظاهرةً سائدة في المجتمع

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص٢١١، وانظر: كتاب التوحيد (مطبوع ضمن مؤلفات محمد بن عبد الوهاب).
(٢) المعتصر شرح كتاب التوحيد، علي خضير الخضير، ص٢٧٨.
(٣) الحجرات:٦.

الشيعي، فالمجتمع الشيعي يقتدي بأئمته ومراجعه وعلمائه، وهم لا يجيزون السب ولا يقبلونه، ومن شذ في تصرفه فتصرفه مردود عليه لا غير، وكما يقول تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[(١)]، ونحن -الشيعة- حين ثبت عندنا أن الأمويين سبّوا أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام مدة سبعين عامًا لم نؤاخذ بقية أهل السُّنة بجريرتهم، بل كان لأئمتنا عليهم السلام وفقهائنا - تبعًا لأئمتنا - تفريق واضحٌ جدًّا بين الناصبي وبين غيره من أهل السنّة، وأفردوا للأول أحكامًا فقهية تغاير الآخر.. وعليه فليس من الإنصاف بمكانٍ أن يؤاخذ الشيعة كلهم بتصرفات نفرٍ شاذٍّ منهم أو فئة تكاد تكون بحكم المعدومة بينهم.

ومن غير الإنصاف قطعًا ترتيب آثار الكفر وحلّية الدم وسبي الذراري -من بعض فقهاء أهل السنّة وخاصة الوهابيين منهم- على الشيعة كلهم، بدعوى سبّ الصحابة، وهم منها براء.. أو توسيع مفهوم السب ليشمل الأمور التأريخية، حين يتعرض الشيعة لبيان عدم أهلية من تسنّم الأمور بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأبي بكر وعمر وعثمان، فيذكرون ما ثبت من حقائق التأريخ عنهم، أو حين يقولون: إنه لا ينبغي القول بعدالة الصحابة كلهم أجمعين وإخضاعهم جميعًا لضوابط الجرح والتعديل كبقية الرواة للسنة النبوية؛ وذلك لما ظهر منهم من الفسق والبغي والانحراف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبشهادة كتب أهل السنة المعتبرة وصحاحهم، والحكم على الشيعة في مثل هذه الأمور أنهم يسبون الصحابة، والحال أنها تدخل في مفهوم النقد لا السب...

---

(١) الأنعام: ١٦٤.

لـذا ينبغـي - لمـن كان عنـده ديـن وعلـم وإنصـاف - أن يفـرق بـين السـب واللعـن والنقـد، ولا يحمـل مفهومًـا عـلى آخـر، فيثـير الفتنـة بـين المسـلمين بجهلـه، ويفتـي مـن غـير علـمٍ ولا كتـاب منـير في مثـل هـذه الأمـور، فيكفِّـر جماعـة، ويضلِّـل آخريـن نتيجـة لجهلـه وخلطـه بـين هـذه المفاهيـم.

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



جواب السيد الخوئي ليس اعترافًا بزواج عمر من أم كلثوم

السائل: محمد جواد

السؤال: قرأت في كتاب (صراط النجاة) للسيد الخوئي في جوابٍ له على سؤال موجَّه إليه، جاء فيه: هل صحيح أن الخليفة الثاني قد تزوج من بنت الإمام علي عليه السلام؟ فكان جوابُه: هكذا ورد في التاريخ والروايات.

وسؤالي: هل يفهم من كلامه الاعتراف والإقرار بوقوع هذا الزواج؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذه القضية ـ كسائر القضايا التاريخية ـ تحتمل الصحة والصدق، وكم من قضية تتضارب فيها النقولات حتى يكون أمر الإيمان بثبوتها صعبًا مستصعبًا، ومن هذه القضايا موضوع تزويج أم كلثوم ابنة أمير المؤمنين عليه السلام من عمر بن الخطاب، فهذه القضية مما لم يتسنَّ

للمؤرخين إثباتها أو التصديق بها.

وقول السيد الخوئي قدّس سرّه في جوابه: «هكذا ورد في التاريخ والروايات»، ليس اعترافًا ولا إقرارًا منه بوقوع هذا الزواج؛ إذ ليس كل ما ورد في التأريخ والروايات هو ثابتٌ وواقع.

قال الشيخ المفيد قدّس سرّه: «إنّ الخبر الوارد بتزويج أمير المؤمنين ابنته من عمر غير ثابت، وطريقه من الزبير بن بكّار، وهو لم يكن موثوقًا به في النقل، وكان متّهمًا في ما يذكره، وكان يبغض أمير المؤمنين عليه السلام، وغير مأمون في ما يدّعيه على بني هاشم.

وإنّما نشر الحديث إثبات أبي محمّد الحسن بن يحيى - صاحب النسب - ذلك في كتابه، فظنّ كثير من الناس أنّه حقّ لرواية رجل علوي له، وهو إنّما رواه الزبير بن بكّار.

والحديث نفسه مختلف؛ فتارة يُروى أنّ أمير المؤمنين تولّى العقد له على ابنته، وتارة يروى عن العبّاس أنّه تولّى ذلك عنه عليه السلام، وتارة يروى أنّه لم يقع العقد إلاّ بعد وعيدٍ من عمر وتهديد لبني هاشم، وتارة يروى أنّه كان عن اختيار وإيثار.

ثمّ إنّ بعض الرواة يذكر أنّ عمر أولدها ولدًا أسماه: زيدًا، وبعضهم يقول: إنّه قُتل قبل دخوله بها، وبعضهم يقول: إنّ لزيد بن عمر عقبًا، ومنهم مَن يقول: إنّه قُتل ولا عقب له، ومنهم مَن يقول: إنّه وأُمّه قُتلا، ومنهم مَن يقول: إنّ أُمّه بقيت بعده، ومنهم مَن يقول: إنّ عمر أمهر أُمّ كلثوم أربعين ألف درهم، ومنهم مَن يقول: أمهرها

أربعة آلاف درهم، ومنهم مَن يقول: كان مهرها خمسمائة درهم. وبدو هذا الاختلاف فيه يبطل الحديث؛ فلا يكون له تأثير»[1].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) المسائل السروية، ص٨٦-٩٠.

الكافي ليس كافيًا للشيعة

المستشكل: منذر الحسن

الإشكال: الرافضة الإمامية تعدّ كتاب الكافي هو أصح مصادرها على الإطلاق، فهو موثَّق من قبل الإمام الثاني عشر المعصوم الذي لا يخطئ، ولا يغلط كما يزعمون، إذ لما ألف الكليني كتاب الكافي عرضه على الإمام الثاني عشر، فقال: الكافي كافٍ لشيعتنا.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين.

إنَّ كتب الحديث المعتبرة عند الشيعة أربعة كتب، أولها الكافي لثقة الإسلام الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، ثم كتاب من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) ثم الاستبصار والتهذيب، وكلاهما للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، وقد سمِّيت هذه الكتب بالأُصول الأربعة.

والشيعة الإمامية لا ينظرون لأيٍّ منها على أنَّه أصحُّ كتاب بعد

كتاب الله عزّ وجلّ، والعقيدة عندهم -كما اشتهر عنهم- أن كتاب الله وحده هو الصحيح من الجلد إلى الجلد، ولا يدانيه في الصحة كتاب سواه، بخلاف ما يراه أهل السنّة في صحيحي البخاري ومسلم كما يظهر لمن تتبع أقوالهم قديمًا وحديثًا، وقد أطلقوا عليها (الصحاح)، وجعلوا لها هالةً من التقديس في قلوب العامة حتى جنحوا إلى الغلوّ فيها.

أما ما قيل من أنّ الإمام المهدى عليه السلام قال: «إن الكافي كافٍ لشيعتنا»، فإنه قولٌ مجهولٌ راويه، ولم يسمِّ أحدٌ اسمه، فقد قال المحدِّث النوري: «الخبر الشائع من أنّ هذا الكتاب عُرض على الحجة -عليه السلام- فقال: «إن هذا كافٍ لشيعتنا» فإنه لا أصل له، ولا أثر له في مؤلفات أصحابنا، بل صَرّح بعدمه المحدِّث الأسترآبادي الذي رام أن يجعل تمام أحاديثه قطعية؛ لما عنده من القرائن التي لا تنهض لذلك، ومع ذلك صَرح بأنه لا أصل له»(١).

والمذكور في مقدمة الطبعة الجديدة من كتاب الكافي للدكتور حسين علي محفوظ هو أن بعض العلماء يعتقد أن الكافي عُرض على القائم عليه السلام فاستحسنه، وقال: «كافٍ لشيعتنا»، وهو خبرٌ ضعيف بالإرسال، بل هو باطل في نفسه، لأن كتاب الكافي ليس كافيًا للشيعة، ولهذا اعتنى العلماء بغيره من كتب الحديث الأخرى المكمِّلة له، وهذا أمرٌ معلوم غير قابل للإنكار، على أن مقدمة الكافي المزبورة لم يَرِد فيها

(١) خاتمة المستدرك، ج٣، ص٤٧٠.

أن الكافي عُرض على القائم عليه السلام[1].

ويدل أيضًا على بطلان مقولة: (الكافي كافٍ لشيعتنا)، تأليف مئات الكتب الحديثية بعد الكافي، مثل: من لا يحضره الفقيه، ومدينة العلم، والتهذيب، والاستبصار، والبحار، ووسائل الشيعة، وجامع أحاديث الشيعة، إلى غيرها من المجاميع الحديثية.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) انظر: لله وللحقيقة، ج٢، ص٥٧٢.

انتحال المذهب

المستشكل: محمد الجنابي

الإشكال: يقول إمامكم جعفر الصادق: قال: (ما أنزل الله سبحانه آية في المنافقين إلا وهي فيمن يَنْتَحِلُ التَّشَيُّع). رجال الكشي ص ٢٥٤.

وقال محمد الباقر: (لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكًا والربع الآخر أحمق). رجال الكشي ص١٧٩.

ماذا يكون حال القوم الذين رجال دينهم بهذه الحال؟!

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الرواية الأولى ضعيفةٌ جدًا، وسندها هو: خالد بن حماد، قال: حدثني الحسن بن طلحة، رفعه عن محمد بن إسماعيل، عن علي بن يزيد الشامي.

وهي رواية مرفوعةٌ كما هو واضح، مضافًا إلى أن هذا الحديث اشتمل على مجموعة من المجاهيل، فإن خالد بن حماد والحسن بن

طلحة وعلي بن يزيد الشامي مُهمَلون، لم يَرد لهم ذكرٌ في كتب الرجال، ومحمد بن إسماعيل مشترك لا يُعرَف من هو.

والنتيجة أن سند هذه الرواية مظلم جدًّا، ولا يعوَّل عليها، ثم إن المراد بمن انتحل التشيع يعني من ادَّعاه، وهو ليس من الشيعة.

قال العلامة المجلسي في (بحار الأنوار): «تبيان: «من ينتحل التشيع» أي يدَّعيه من غير أن يتَّصف به، وفي غير الكافي: «انتحل». في القاموس: «انتحله وتنحله: ادَّعاه لنفسه وهو لغيره»»[(١)].

والرواية الثانية - أيضًا - ضعيفة السند، فإن من جملة رواتها سلام بن سعيد الجمحي، وهو مجهول الحال، لم يوثَّق في كتب الرجال.

قال المامقاني في «تنقيح المقال»: «سلام بن سعيد الجمحي قد وقع في طريق الكشي في الخبر المتقدم في ترجمة أسلم القواس المكي، روى عنه فيه عاصم بن حميد، وروى هو عن أسلم مولى محمد بن الحنفية، وهو مهمل في كتب الرجال، لم أقف فيه بمدح ولا قدح»[(٢)].

ومن جملة الرواة أسلم مولى محمد بن الحنفية، وهو أيضًا مجهول الحال، لم يوثَّق في كتب الرجال. وعليه فالرواية لا تصح، ولا يجوز الاحتجاج بها[(٣)].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٠، ص٩٨.
(٢) تنقيح المقال، ج٢، ص٤٣.
(٣) ينظر: لله وللحقيقة، علي آل محسن، ج١، ص٧٧-٧٨.

وكفى الله أمير المؤمنين عليه السلام ما هو أملك به منه

المستشكل: سالم عبد الله

الإشكال: روي عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: (إني لستُ بفوقِ أن أُخطئ ولا آمن ذلك من فعلي) (نهج البلاغة ٢/ ٢٠١). فأين العصمة التي صدع الشيعة بها رؤوسنا، فهذا كلام إمامهم واضح وصريح.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهَّرين..

إنّ ما ذكرته من قوله عليه السلام: «لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي»، يوجد فيه تتمة ورد فيها استثناء دال على عصمته، وهو قوله عليه السلام بعد هذا الكلام مباشرة: «إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني»، لكنك بترته لتخرج النص عن سياقه الحقيقي إلى المقصود المنسجم مع مآربك الشخصية.

قال الشيخ محمد عبده في شرحه للنهج: «يقول لا آمن من الخطأ في أفعالي إلا إذا كان يسّر الله لنفسي فعلًا هو أشد ملكًا مني، فقد كفاني الله ذلك الفعل، فأكون على أمنٍ من الخطأ فيه»[١].

ولإثبات أن الله تعالى كفى أمير المؤمنين عليه السلام ما هو أملك به منه، ومن الخطأ في فعله، نقول:

قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فقد روى الطبري بسنده إلى سعيد بن قتادة، الذي قال عند تفسيره لآية التطهير: «فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء، وخصهم برحمة منه».

وعن ابن عطية – في ما أورده المقريزي عنه في فضل آل البيت، وغيره، قال: «والرجس اسم يقع على الإثم والعذاب، وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت»[٢].

وأمعن النظر في كلماته عليه السلام الآتية، حتى تدرك هل كفاه الله من أمره ما هو أملك به منه أو لا!!

فقد قال عليه السلام: («وإنّي لعلى بيّنة من ربّي، ومنهاج من نبيّي، وإنّي لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطًا».. قال الشيخ محمّد عبده في شرحه: اللقط: أخذ الشيء من الأرض، وإنّما سمّى اتّباعه لمنهج الحقّ: لقطًا؛ لأنّ الحقّ واحد والباطل ألوان مختلفة، فهو يلتقط الحقّ من بين ضروب

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٢.
(٢) فضائل آل البيت، ص٣٤.

الباطل)[١].

وقال عليه السلام في كلام له، وقد جمع الناس، وحضّهم على الجهاد فسكتوا مليًّا: «لقد حملتكم على الطريق الواضح، الّتي لا يهلك عليها إلاّ هالك، مَن استقام فإلى الجنّة، ومَن زلّ فإلى النار»[٢]، أي: مَن استقام في الطريق الّذي حملهم عليه السلام عليه فإلى الجنّة، ومَن زلّ عن الطريق الّذي حملهم عليه فإلى النار، وهذا المعنى دالّ على العصمة، كدلالة الأحاديث النبوية السابقة الّتي تلوناها عليك.

وقال عليه السلام في كلام له لبعض أصحابه: «فإن ترتفع عنّا وعنهم محن البلوى، أحملهم من الحقّ على محضه»[٣].

وقال عليه السلام: «ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أنّي لم أردّ على الله ولا على رسوله ساعة قط»[٤].

وقال عليه السلام في خطبته المسمّاة بـ: (القاصعة)، الّتي ذكر فيها قربه من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وملازمته إيّاه منذ الصغر: «وكان ـ أي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل»[٥].

وقال عليه السلام من كلام له ينبّه فيه على فضيلته؛ لقبول قوله وأمره ونهيه: «فو الّذي لا إله إلاّ هو! إنّي لعلى جادّة الحقّ، وإنّهم لعلى مزلّة

(١) نهج البلاغة، تعليق الشيخ محمّد عبده، ج١، ص١٨٩.
(٢) المصدر السابق، ج١، ص٢٣٣.
(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٦٤.
(٤) المصدر السابق، ج٢، ص١٧١.
(٥) المصدر السابق، ج٢، ص١٥٧.

الباطل»[١].

وقال عليه السلام عندما بلغه خروج طلحة والزبير عليه مع السيّدة عائشة وإثارتهم الفتنة ضدّه: «إنّ معي لبصيرتي، ما لَبستُ ولا لُبس عليَّ»[٢].

فهذه الكلمات والتعبيرات الواردة عنه عليه السلام دالّة بكلّ وضوح على أنّه مع الحقّ، والحقّ معه، وقد أشار إلى ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في ما رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ووافقه الذهبي على تصحيحه، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[٣].

فالذي لا يفارق القرآن، ولا يفارقه القرآنُ طرفة عين أبدًا هو معصوم جزمًا؛ لأن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكذلك يكون شأن من كان القرآن معه دومًا وأبدًا.

وروى الحاكم في مستدركه -أيضًا- في حديثٍ صحَّحه، ووافقه الذهبي عليه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع عليًّا فقد أطاعني، ومن عصى عليًّا فقد عصاني»[٤].

وإيجاب الطاعة المطلقة يوجب العصمة، وهذا مطلبٌ واضحٌ،

(١) المصدر السابق، ج٢، ص١٧٢.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٣٠.
(٣) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٣٤.
(٤) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٣١.

يُرجَع فيه إلى تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[١]، حيث قال: «إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومَن أمر اللهُ بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصومًا عن الخطأ»[٢].

ومن الأدلة على عصمته عليه السلام -أيضًا- حديث الثقلين الوارد فيه: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[٣]، وهذا الحديث في الدلالة على العصمة كالحديث الأول.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) النساء: ٥٩.

(٢) التفسير الكبير، ج١٠، ص١١٣.

(٣) صحيح الجامع الصغير، للسيوطي، والألباني، رقم الحديث: ١٧٢٦-٢٤٥٨.

الحريةُ المطلقة ضربٌ من الخيال أو وهمٌ يشبه المحال

المستشكل: c.y.s

الإشكال: الشريعة والإسلام يقفان بالضدِّ من حرية التعبير، ويُحدَّد على وفق قوانينها إطلاق الحريات، في حين أن المجتمعات غير الإسلامية في السابق والحاضر تتمتع بمطلق حريتها، وهي مستمرةٌ على ذلك، فأين ما قررته الشريعة الإسلامية من إعطاء الفرد حريته في التعبير قولًا وعملًا، وها هو الإسلام اليوم يكمِّم الأفواه، فيحرِّم شرب الخمر والزنا وغيرها، مع أنها من حرية الفرد الشخصية.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

ضعْ في حسبانك أنّ الحرية حقيقةٌ إنسانيةٌ، تُفهم ضمن حدودِ فهمنا للإنسان نفسِه، فهناك فرقٌ كبير بين القول: إن الحرية مجردةٌ، وبين القول: إن الإنسان كائن حر، فالحرية المجردة التي تسبح في

الفراغ، والتي لا تواجهها موانع ولا حدود، قد لا تكون موجودة حتى في عالم المجردات، والموجود هو الإنسان الحر الذي يتحرك ضمن الحدود الممكنة، وما يقع فيه بعض المندفعين نحو الحرية هو الانطلاق من المفهوم المجرَّد ليسقطه على الإنسان دون الاكتراث لوجود مساحةٍ فاصلة بين الحرية مفهومًا وبين الحرية واقعًا إنسانيًّا.

وينبغي عليك الالتفات إلى أن هناك حريةً لها خطوطٌ حمراء لا تتجاوزها، وهناك حريةٌ سلبية، وهي الحرية المطلقة، والأخيرة لا يقبل بها عاقلٌ؛ نظرًا لمساوئها الكثيرة، ولتقريب الصورة نضرب مثلًا، لنفرضْ أننا في بلدٍ يؤمن بالحرية المطلقة، فإذا شخصٌ يسبّ جاره، ويتهجم عليه بغير سبب، فإذا سئل عن سبب الاعتداء أجاب: هذا ليس اعتداءً، وإنما هي حريةٌ، وأنا في بلد الحرية، وقد آن لجاري أن يعرف ما معنى الحرية، وشخصٌ آخر يسوق سيارته بسرعةٍ شديدةٍ دون أن يتوقف عند الضوء الأحمر، وقد يتسبب في حادثةٍ مروعة، فإذا سئل عن ذلك أجاب بكل بساطة: أنا حرّ، وأنا في بلدٍ يؤمن بالحرية.

هذه هي الحرية المطلقة التي يعدّها العقلاء اعتداءً سافرًا على الآخرين، وهي حرية قد تُدخل الأفراد والجماعات في دوّامةٍ من الصراعات... إلخ.

فالحرية المطلقة ليست موجودةً إلا في خيال المطالِب بها، أما في الواقع فكل الحريات مضبوطةٌ ومقيدة.

وليست هناك حريةٌ مطلقة سادتْ في المجتمعات لا في الغابر ولا

في الحاضر، بل ولن تسود بينها في المستقبل، ويكذب -ويعلم أنه يكذب- من زعم أن هناك حريةً مطلقة لفرد أو مجتمع، تبيح له أن يمارس ما يراه دون مراعاة لمصالح مجتمعه وأنظمته وأعرافه وتقاليده التي ارتضاها لنفسه، فلكل حرية قيودٌ تحدد سقفها.

نعم، الحرية روح الحياة، إلا أنّ القيود هيكلُ هذه الروح وقوامها، وأول وأبرز تلك القيود هو احترام حرية الآخرين التي تتوقف عندها حرية أي فرد أو مجتمع، فالإنسان لا يكون حرًّا مطلقًا حتى مع نفسه؛ لأنه كائن له كرامة، وليس من حقه العبث بكرامته، وهو ليس حرًّا مع المحيط الذي يعيش فيه؛ لأنه ـ وبكل بساطة ـ لا يحتكر حق الوجود لنفسه دون غيره، ولا يوجد عاقل -في أي مجتمع كان- يمارس الحرية المطلقة، وهو يدعو - بصرف النظر عن معتقده أو موروثه الحضاري- إلى التحلل من كل القيود لممارسة حريته الخاصة أو حرية مجتمعه، ففي الحرية المطلقة فسادٌ ذريع، ولو ترك لكلِّ أحدٍ أن يمارس حريته المطلقة كيفما اتفق - ودون مراعاة لحقوق ومشاعر الآخرين - لقضى أقوامٌ حوائجهم الطبيعية من إخراج وتناسل وتكاثر على أبواب البيوت وعند نواصي الطرق كما تفعل البهائم، فمن ينادي بالحرية المطلقة عليه أن يوجِد لنفسه كوكبًا خاصًّا ليعيش فيه وحده.

وإذا سلمنا بما تقدم فيمكننا تفكيك الإشكال في ما يتعلق بمعارضة الأحكام الشرعية للحرية، فمثلًا قولك: (إطلاق الحريات) يوحي بأن هذه الأحكام جاءت مخالفة لطبيعة الحرية، أي أن الحرية بطبعها مطلقةٌ، فهي لا تنسجم مع أي تقييد، وبما أن حرمة الخمر والزنا تقييدٌ، فهي

تخالف مفهوم الحرية المطلقة، وهذا فهمٌ مغلوط، لأنّ الحرية لا ينظر لها بوصفها مفهومًا مجردًا، وإنما يُنظر إلى الإنسان بوصفه حرًّا، وهكذا يجب فهم الحرية ضمن إمكانات الإنسان، بمعنى أن الإنسان كائنٌ محدود لا يتحرك في إطار المطلق، فهو مقيد بطبيعة الحياة وقيمها، ومقيد بطبيعة النفس وكرامتها وفلسفة وجودها، ومقيد بطبيعة المجتمع والعيش المشترك.. وهكذا يصبح الإنسان الحر كائنًا مقيدًا بطبيعته، أما الحرية الخارجة عن حدود الإنسان فنحن لا نعرفها، ولا يمكن تصورها.

والمحصلة أن الحرية صفة للإنسان، وعليه يجب فهمها في إطار فلسفة وجوده، وبما أن الإنسان مخلوق له غاية فلا بد أن تكون خياراته محكومة بهذه الغاية، ومن هنا يصعب على المدارس المادية فهم تلك التشريعات؛ لأن تلك المدارس لا ترى للإنسان قيمة إلا في حدود شهواته وغرائزه.

أما حرية التعبير فهي مكفولةٌ في الشريعة الإسلامية بشرط ألا تتحول إلى معول هدمٍ للعيش المشترك، مثل أن توظف حرية التعبير لتصفية الخصوم على نحوٍ غير خُلُقي، أو للتجاوز على حرية التعبير عند الآخرين، وعليه يجب أن يتساوى هذا الحق بين الجميع، ولكي يتحقق ذلك لا بد أن تكون في إطار الحقوق والواجبات.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيدنا ونبيِّنا محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

فارسيّة التشيّع بين الخديعة والخلط التاريخي

المستشكل: الشيخ فتحي رسلان، مصر

الإشكال: لماذا دائمًا نجد مراجع الشيعة وكبار علمائهم من إيران وليس من العراق؟! ألا يدلكم هذا على أنّ أصل التشيُّع فارسيٌّ، وهو دخيل على الإسلام!!

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذه شبهة باطلة من وجوه، ونجيب عنها بالآتي:

أوّلًا: إنّ التشيع ولد من رحم الجزيرة العربية، ونشأ، وترعرع في مهد العرب، وانتشر في جهات الدنيا الأربع، والفرس إنما يشكّلون جزءًا من الشيعة كغيرهم من الهنود والترك والصينيين والأفغان والأكراد وغيرهم، يقول ابن خلدون: «اعلم أن مبدأ هذه الدولة -يعني دولة الشيعة- أن أهل البيت لما توفي رسول الله ﷺ كانوا يرون

أنهم أحق بالأمر، وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم»[١].

وقال محمد أمين في كتابه (فجر الإسلام): «والذي أرى - كما يدلنا التاريخ - أنّ التشيع لعليٍّ بدأ قبل دخول الفرس في الإسلام»[٢].

وجاء عن دائرة المعارف الإسلامية: «إنّ أقدم الأئمة الكبار من الشيعة كانوا عربًا خُلَّصًا»[٣].

وإنّ أئمة الشيعة الاثني عشر ابتداءً من الإمام عليٍّ عليه السلام حتى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن عليه السلام هم سادة العرب ومن صميمهم، وبيت هاشم - وذلك معروف - أشرف البيوتات العربية بلا منازع، يأتي بعد ذلك الروّاد الأوائل من حملة علوم أهل البيت وبيوتات وأسر الشيعة الذين حملوا التشيع، وبشروا به، فإنّهم من صميم العرب، وذلك ابتداءً من أقطاب مدرسة الإمام الصادق عليه السلام، مثل أبان بن تغلب بن رباح الكندي، وبيت آل أعين، وبيت آل حيان التغلبي، وآل عطية، وبني دراج وغيرهم[٤].

ثم الطبقة التي تلي هؤلاء كالشيخ المفيد محمد بن النعمان، والشريف المرتضى علم الهدى عليّ بن أبي الحسين، والعلامة الحلي جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر، وعبد العزيز بن نحرير البراج وجمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس وأُسرة آل طاووس، ومحمد

(١) العبر، ج٣، ص١٠٧-١٧١.
(٢) فجر الإسلام، ص٢٩٨.
(٣) دائرة المعارف، ج١٤، ص٦٦.
(٤) ينظر: طبقات ابن سعد ج٦ تراجم من سكن الكوفة من التابعين.

بن أحمد بن إدريس العجلي، ونجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي المعروف بالمحقق وجمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري، والشهيد الأول محمد بن مكي والشهيد الثاني زين الدين العاملي وغيرهم، فإنّ كل هؤلاء من صميم العرب.

أما أصحاب الكتب الأربعة، وهم كل من محمد بن يعقوب الكليني صاحب الكافي، ومحمد بن عليّ بن الحسين المعروف بابن بابويه القمي، صاحب من لا يحضره الفقيه، ومحمد بن الحسن بن علي الشيخ الطوسي صاحب التهذيب والاستبصار، فإنّ هؤلاء لا يوجد نص على عدم عروبتهم، ومن وجد دليلًا على أعجميتهم فليفدنا[1].

ثانيًا: إنّ شعار الإسلام قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2]، والشيعة الإمامية إنما يتمسكون بكتاب الله جل وعلا وبسنة نبيه ﷺ، فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده أن رسول الله ﷺ قال: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى»، وعلّق الشيخ ناصر الدين الألباني -أحد كبار أئمة الوهابية- بعد أن ذكر الحديث الذي رواه أحمد بن حنبل، قائلًا: «وإنْ كنتُ ألبانيًّا فإني مسلمٌ ولله الحمد»[3].

ثالثًا: إنّ النبي ﷺ هو أول مَن أطلق هذا الاسم (الشيعة)، وهو

(١) ينظر: هوية التشيع ص٨٩-٩٠.
(٢) الحجرات:١٣.
(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج١، ص٣٠٣.

أول مؤسس لهذا الخط الرسالي، ويشهد لذلك التراث السُّني نفسه، وسوف نستعرض قسمًا منه في ما يأتي:

١ - قال (السيوطي) في (الدر المنثور) في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولئكَ هُم خَيرُ البريَّةِ﴾: «أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي ﷺ، فأقبل علي، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إنَّ هذا وشيعته لهم الفائزونَ يوم القيامة، قال: وأخرج ابن مردويه عن علي، قال: قال لي رسول الله ﷺ: ألم تسمع قول الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئكَ هُم خَيرُ البَرِيَّة﴾. أنتَ وشيعتُكَ، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا جاءت الأمم للحساب تُدعون غرًّا محجلين»[١].

٢ - ونقل (ابن الأثير) في (النهاية) ما نصه: «وفي حديث علي عليه السلام: ستقدم على الله أنتَ وشيعتُكَ راضين مرضيين، ويقوم عليك عدوّك غضابًا مقمحين، ثم جمع يده إلى عنقه، يريهم كيف الإقماح». ثم فسَّر (ابن الأثير) الإقماح في الحديث برفع الرأس وغض البصر، يُقال: أقمحه الغل إذا ترك رأسه مرفوعًا من ضيقه»[٢].

٤ - وقال (ابن حجر): الآية الحادية عشر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ أُولئكَ هُم خَيرُ البَرِيَّة﴾. «أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس، أنَّ هذه الآية لّما نزلت قال ﷺ لعلي: «هو أنتَ وشيعتُكَ، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضابًا مقمحين». وعن أم سلمة، قالت: «كانت ليلتي،

(١) الدر المنثور، ج٨، ص ٥٨٩.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص ١٠٦.

وكان النبي ﷺ عندي، فأتته فاطمة، فتبعها علي - رضي الله عنهما - فقال النبي ﷺ: يا علي أنتَ وأصحابك في الجنة، أنت وشيعتُكَ في الجنّة»[١].

وقال ﷺ: «يا علي أول أربعة يدخلون الجنة أنا وانت والحسن والحسين، وذريتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا»[٢].

٥ - وروى (الزمخشري) في (ربيع الأبرار) أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يا علي إذا كان يوم القيامة أخذتُ بحجزة الله تعالى، وأخذت أنت بحجزتي، وأخذ ولدك بحجزتك، وأخذ شيعة ولدك بحجزهم، فترى أين يؤمر بنا»[٣].

٦ - أخرج (ابن عساكر) عن جابر بن عبد الله، قال: «كنّا عند النبي ﷺ فأقبل علي، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إنَّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُم خَيرُ البَرِّيةِ﴾، فكان أصحاب النبي إذا أقبل علي قالوا: جاءَ خيرُ البرّية»[٤].

رابعًا: إثبات صحة العكس، فالتسنُّن شمل بلاد فارس من القرن الأول وحتى العاشر، ولم يتشيعوا إلا بعد قيام الدولة الصفوية، ويقول

(١) الصواعق المحرقة، ج٢: ٤٦٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٦٦.
(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص ١٥٩.
(٤) تاريخ دمشق، ج٤٢، ص ٣٧١.

ابن خلدون في تاريخه: «الفصل الثالث والأربعون، في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم.

من الغريب الواقع أنّ حملة العلم في الملّة الإسلاميّة أكثرهم العجم لا من العلوم الشّرعيّة ولا من العلوم العقليّة إلّا في القليل النّادر. وإن كان منهم العربيّ في نسبته فهو أعجميّ في لغته ومرباه ومشيخته، مع أنّ الملّة عربيّة وصاحب شريعتها عربيّ»[1]. وقال في المصدر نفسه: «وكذا حملة الحديث الّذين حفظوه عن أهل الإسلام، أكثرهم عجم أو مستعجمون باللّغة والمربى؛ لاتّساع الفنّ بالعراق. وكان علماء أصول الفقه كلّهم عجمًا كما يعرف، وكذا حملة علم الكلام، وكذا أكثر المفسّرين. ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلّا الأعاجم»[2]، وقال في المصدر نفسه: «وأمّا العلوم العقليّة أيضًا فلم تظهر في الملّة إلّا بعد أن تميّز حملة العلم ومؤلّفوه. واستقرّ العلم كلّه صناعة، فاختصّت بالعجم، وتركتها العرب»[3].

وقد روى الحاكم في معرفة علوم الحديث[4]، وابن عساكر في تاريخ دمشق[5]، وابن الصلاح في المقدّمة[6]، والمزّي في تهذيب الكمال[7]،

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٧٤٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٤٨.
(٣) المصدر نفسه، ص٧٤٩.
(٤) معرفة علوم الحديث، ص ١٩٨.
(٥) تاريخ دمشق، ج٤٠، ص ٣٩٣ وج ٥٦، ص ٣٠٥.
(٦) المقدّمة، ص ٢٤٤.
(٧) تهذيب الكمال، ج ١٣، ص ٥١ – ٥٢.

والذهبي في سير أعلام النبلاء[1]، والدميري في حياة الحيوان[2]، بالإسناد عن الزهري -واللفظ للأوّل- قال: «قدمت على عبد الملك بن مروان، فقال لي: من أين قدمت يا زهري؟ قلت: من مكّة. قال: فمن خلّفت يسود أهلها؟ قال: قلت: عطاء بن أبي رباح. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: وبم سادهم؟ قال: قلت: بالديانة والرواية. ثمّ سأله عن أهل اليمن. فقال: طاووس بن كيسان. وأهل مصر. فقال: يزيد بن أبي حبيب. وأهل الشام. فقال: مكحول. وأهل الجزيرة. فقال: ميمون بن مهران. وأهل خراسان. فقال: الضحّاك بن مزاحم. وأهل البصرة. فقال: الحسن بن أبي الحسن البصري - وكلّهم من الموالي - إلى أن قال: ويلك فمن يسود أهل الكوفة؟ قال: قلت: إبراهيم النخعي. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من العرب. قال: ويلك يا زهري فرّجت عنّي، والله ليسودنّ الموالي على العرب حتّى يخطب لها على المنابر، والعرب تحتها».

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

❁❁❁

(١) أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٨٥.
(٢) حياة الحيوان، ج ٢، ص ٨٩.

منزلةُ الزهراء بعد النبيِّ والوصيِّ

المستشكل: عبد الرحمن الراشد.

الإشكال: تكاد رواياتُكم تُجمِع، وأقوالُ علمائكم تُطبِق على تفضيل فاطمةَ رضي الله عنها على أبيها النبيّ الأعظم ﷺ، وعلى زوجها عليّ رضي الله عنه الذي تعدُّوه إمام أئمتكم والوصيّ بعد النبي في معتقَدكم، فهل لكم أنْ تبرهنوا لنا على هذا التفضيل بآيةٍ من الكتاب الكريم أو بحديثٍ صحيح عن رسول الله ﷺ، يصرِّح فيه بتفضيلها عليه وعلى زوجها عليّ؟!

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذا كلامٌ لا صحةَ له، ولا دليل عليه، لا من نقلٍ ولا من عقل، وإنما هي تخرُّصاتٌ وافتراضات، فالنبيّ ﷺ في عقيدة الشيعة الإمامية هو أعلى الخلق منزلةً قاطبةً، أنبياءَ وأئمةً، دلتْ على ذلك الآيات

والأحاديث المتضافرة الكثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضلُ الله عليك عظيمًا﴾[١] فمِن فضله عليه سبحانه أنه أنزل عليه أفضلَ الكتب، وجعل دينَه خاتمةً للأديان، وجعله رحمةً للعالمين، وأعطاه من الفضائل ما يعجز اللسانُ عن عدِّها ووصفها، وهو أفضلُ النبيين والمرسلين، وعنده من العلوم ما ليس عندهم.

ويأتي بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنزلة أميرُ المؤمنين عليٌّ عليه السلام، وهو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنص آيةِ المباهلة التي جاء فيها: ﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالَوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[٢]، وبالإجماع لم يخرجْ لمباهلة نصارى نجران سوى أصحابِ الكساء، وبانطباق عنوان النساء والأبناء على الزهراء والحسنين عليهم السلام، ويبقى عنوان (أنفسنا) منطبقًا على أمير المؤمنين عليه السلام، فيكون له من الفضل والمنزلة والمزايا ما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلا النبوة.. فهما أفضل الخلق قاطبةً، والسبق في الفضل وأصله هو للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم تأتي الزهراء عليها السلام بعدهما، وهي أمّ الحجج الأحدَ عشر المعصومين عليهم السلام والحجة عليهم، كما جاء عن الإمام العسكري عليه السلام

(١) النساء:١١٣.
(٢) آل عمران:٦١.

قولـه: «نحـن حجـة الله عـلى الخلـق، وفاطمـة حجـة علينـا»[1].

وفي سـؤالٍ وُجِّـه لأحد علماء الشـيعة الإمامية، وهـو المرجع الديني الميـرزا جواد التبريـزي رحمه الله جاء فيـه: «روي أن الإمام العسـكري قال في الزهـراء (هي حجةٌ علينا)، مـا المراد بالحجة؟ هل الحديـث الدالّ على أن الزهـراء كفءُ عليّ يـدل على اتحـاد الرتبة؟ هل حديث «روحـي التي..» يدلّ على اتحـاد رتبة الزهراء عليها السلام مع الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم؟».

فأجاب قُدِّس سره: «باسمه تعالى: مما روي عن الإمام العسكري عليه السلام أنه كان عند الأئمة مصحفُ فاطمةٍ عليها السلام وهو حجةٌ على الأئمة في بعض أمورهم؛ لأن فيه علمَ ما كان وما يكون، كما في الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام «وعندنا مصحف فاطمة..».

وأمـا كـمالاتُ النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأمـيرِ المؤمنـين عليه السلام والزهـراء عليها السلام فـكلٌّ في رتبـة مقـام نفسـه تامـةٌ، إلا أنّ رتبـة أحدهـم بالإضافـة إلى الآخـر مختلفـة، فرتبـة النبـوة متقدمـة عـلى رتبـة الوصايـة، ورتبـة الوصايـة متقدمـة عـلى رتبـة الكفـاءة المذكـورة في الحديـث الـوارد في حقهـا، فكـما لا يعنـي قولـه تعـالى في آيـة المباهلـة (وأنفسـنا وأنفسـكم)، ثبـوت النبـوة لأمـير المؤمنـين عليه السلام، كذلـك لا يعنـي الحديـثُ المذكـورُ في حـق الزهـراء عليها السلام أنهـا كـفءٌ لعـليّ عليه السلام وأنّ عليًّـا عليه السلام كـفءٌ لهـا عليها السلام، وهـو لا يـدل عـلى أن لهـا عليها السلام رتبـةَ الوصايـة، وكـذا مـا ورد في حقهـا مـن قـول النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنهـا روحـه التـي بـين جنبيـه،

---

(١) العوالم، للبحراني، ص٧.

لا يـدل عـلى أن لهـا عليها السلام رتبـةَ النبـوة)[١]. انتهـى.

فـلا الروايـات ذكـرتْ شـيئًا -ولـو تلميحًـا- ممـا ادّعيـت، ولا المعتقـد يتكـئ عـلى مـا توهّمـت، ولا العلـماء قالـوا كـما تخرّصـت.

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



(١) الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية، ص١١٥.

موسى والخضر كلاهما وُكِّل بأمرٍ لا يطيقه الآخر

السائل: أبو مريم البغدادي

السؤال: في مسألة من هو الأعلم؟ الخضر أم نبي الله موسى، فقد أجاب بعضهم أنه لا شك أن الخضر أعلم من نبي الله موسى، ويؤكد ذلك هذه القصة وسعي موسى في الأرض وبحثه الطويل عن الخضر، قال تعالى على لسان موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (الكهف: ٦٠). فما ردكم؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الأخ أبو مريم المحترم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إنّ كلًّا من نبيّ الله موسى عليه السلام، والرجل العالم (الخضر)، كان أعلم في ما يتعلق بوظيفته، فموسى عليه السلام كان الأعلم بالنظام التشريعي، أمّا الرجل العالِم (الخضر) فقد كانت لهُ وظيفة تختلف عن وظيفة موسى عليه السلام، ولا ترتبط بعالم التشريع، فالرجل العالم كان

يعـرف مِـن الأسرار مـا لا تعتمـد عليـه دعـوة النّبـوة.

وقـد وردت عـدة روايات عـن أئمة أهل البيت عليهم السلام، تؤكـد أنّ نبي الله موسـى عليه السلام أعلـمُ مـن الخـضر في علـم التشريـع، فقـد جـاء في حديـثٍ عـن الإِمـام الصـادق عليه السلام قولـه: «كان موسـى أعلـم مِـن الخـضر»[١].

وفي روايات أخرى نجد إِشارة صريحة إِلى أن وظيفة كلٍّ مِن موسى والخضر كانـت تختلف عـن الآخـر، فقـد جـاء في حديـثٍ عـن الإِمـام علي بـن موسـى الرضـا عليه السلام، لمّا كَتب إِليه أحدهـم يسـأله عـن العـالم الـذي أتـاه موسـى، أيّهما كان أعلـم؟ فـكان ممّـا أجـاب بـه الإِمـام عليه السلام: «أتـى موسـى العـالم، فأصابـه في جزيـرةٍ مِـن جزائـر البحـر، إِمّـا جالسًـا وإِمّـا مُتكئًـا، فسـلَّم عليـه موسـى، فأنكـر السـلام، إِذ كانـت الأرض ليـسَ بهـا سـلام. قـال: مَـن أنـت؟ قـال: أنـا موسـى بـن عمـران. قـال: أنـت موسـى بـن عمـران الـذي كلمـه الله تكليـمًا؟ قـال: نعـم، قـال: فـما حاجتـك؟ قـال: جئـت لتعلمنـي ممّـا عُلِّمـتَ رشـدًا. قـال: إِنّي وُكِّلـت بأمـر لا تطيقـه، وَوُكِّلـتَ بأمـر لا أطيقـه»[٢].

وقـال العلامـة الطباطبائـي: وهـذا المعنـى مـروي في أخبـارٍ أخـر مـن طـرق الفريقـين[٣].

وروى السـيوطي في (الـدر المنثـور) عـن الحاكـم النيسـابوري أنَّ النّبـي صلى الله عليه وآله وسلم قـال: «لمّـا لقـي موسـى الخـضر، جـاء طـيرٌ فألقـى منقـاره في المـاء، فقـال الخـضر لموسـى: تـدري مـا يقـول هـذا الطائـر؟ قـال: ومـا

(١) بحار الأنوار، ج١٣، ص٣٠٣، نقلاً عن تفسير العياشي.
(٢) مجمع البيان، ج٦، ص٤٨٠؛ والميزان، ج١٣، ص٣٥٦.
(٣) انظر: تفسير الميزان، ج١٣، ص٣٥٦.

يقـول؟ قـال: يقـول: مـا عِلْمـك وعلـم موسـى في علـم الله إِلّا كـما أَخـذ مِنقـاري مِـن المـاء»[١].

وقـال الطباطبائـي: وقصـة هـذا الطائـر واردةٌ في أغلـب روايـات القصـة[٢].

وقـد تسـأل: أن الروايـات تختلـف في مـا بينهـا، فتـارةً تـصرِّح بـأن موسـى عليه السلام، أعلـمُ مـن الخـضر، وأخـرى أن الخـضر أعلـم مـن موسـى عليه السلام كـما جـاء في حديـثٍ عـن أبي عبـد الله عـن أبيـه عليهما السلام، قـال: بينـما موسـى قاعـد في مـلإٍ مـن بنـي إسرائيـل، إذ قـال لـه رجـل: مـا أرى أحـدًا أعلـم بـالله منـك؟ قـال موسـى: مـا أرى، فأوحـى الله إليـه: بـلى، عبـدي الخـضر، فسـأل السـبيل إليـه، وكان لـه الحـوت آيـة إن افتقـده، وكان مـن شـأنه مـا قـصّ الله.

والجـواب: ينبغـي حمـل اختـلاف الروايـات في علمهـما عـلى اختـلاف نـوع العلـم، الأمـر الـذي ذكرنـاه في مقدمـة الجـواب، فموسـى عليه السلام كان الأعلـم بالنظـام التشريعـي، أمّـا الرجـل العـالِم (الخـضر) فقـد كانـت لـهُ وظيفـة تختلـف عـن وظيفـة موسـى عليه السلام.

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.

(١) الدر المنثور ومصادر أُخرى على طبق ما نقله صاحب الميزان في ج ١٣، ص ٣٥٦.
(٢) انظر: تفسير الميزان، ج١٣، ص٣٥٦.

المراد من الأمة في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

السائل: مضر البلداوي

السؤال: أن أحد أقربائي يعيش في أوربا، وقد طُرح عليه سؤالٌ من مجموعة من أبناء العامة حول تفسير الآية الكريمة (كنتم خير أمة أُخرجت للناس) فمن المقصودون بالآية الكريمة؟ ومن هم الناس؟ وهم يريدون ردًّا مسندًا بالقرآن أو حديثًا شريفًا للرسول ﷺ أو رواية عن آل بيت رسول الله عليهم السلام.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

وردت أحاديث كثيرةٌ تفسر المراد من كلمة «الأمّة» الواردة في هذه الآية المباركة بالأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين [(١)].

والظاهر: أن المراد بـ «الأمة» الرجل المتفرد في ميزاته، وخصوصياته،

(١) ينظر: بحار الأنوار، ج٢٤، ص١٥٣ـ١٥٩.

ودينه.. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾(١).

هذا، وقد روي بسندٍ صحيح: أن عبد المطلب يُبعث أمة واحدة [ووحده] عليه سيماء الأنبياء، وهيبة الملوك(٢).

وروي أيضًا: أن قس بن ساعدة يحشر أمة وحده(٣).

وجاء في تفسير القمي بسند صحيح: «أن ابن سنان قرأ على الإمام الصادق عليه السلام: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾..

فقال عليه السلام: خير أمة؟ تقتلون أمير المؤمنين، والحسن، والحسين بن علي عليهم السلام، فقال القارئ: جعلت فداك، كيف نزلت؟ قال: نزلتْ: كنتم خير أئمة أُخرجت للناس، أ لا ترى مدح الله لهم: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٤)(٥).

والمراد بنزولها كذلك: أن هذا تفسيرٌ لكلمة: «الأمّة بكلمة «الأئمة»، قد نزل من عند الله سبحانه، حتى ليصح أنْ نضع هذه بدل تلك، على سبيل التفسير، لا لتصبح هذه هي القرآن المنزل..

أو فقل: إن كلمة «الأمة» هكذا نزلت، مرادًا بها هذا المعنى، وهو «الأئمة»، دون سواه..

---

(١) النحل:١٢٠.
(٢) الكافي، ج١، ص٤٤٦ و٤٤٧، وينظر: بحار الأنوار، ج١٥، ص١٥٧ و١٥٨، عنه وسفينة البحار، ج٦، ص٨٧، عن الدر النظيم.
(٣) بحار الأنوار، ج١٥، ص١٨٣، وينظر: سفينة البحار، ج١، ص٢٩٩.
(٤) آل عمران:١١٠.
(٥) بحار الأنوار، ج٢٤، ص١٥٤، عن تفسير القمي.

وقد بين الإمام عليه السلام: أن إرادة جميع أفراد الأمة، غير ممكن، فإن فيهم من يفعل المنكر ويأمر به، وأن فيهم قتلة أوصياء الأنبياء.. وفيهم.. وفيهم..[1].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلى الله وسلم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) ينظر: مختصر مفيد، للسيد جعفر مرتضى العاملي، ج٧، ص٧٤.

المسلم مسؤول عما يؤمن به ويعتقده

المستشكل: هيثم كريم

الإشكال: الشيعي والسُّني كلٌّ منهم وُلد في بيئته، وتوارث المذهب عن آبائه وأجداده، وليس للعلوم الإسلامية فضلٌ عليه، وهم قد ألّفوا أحاديث تناسب مقاساتهم وبيئتهم، وكلُّ واحدٍ منهم يقول: أنا على حقٍّ. ولو أنهم خُلقوا في مناطق بوذية لكانوا بوذيين، وسيدافعون عن بوذيتهم.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله المطهرين..

لا بد من الاعتراف أولًا بأن الإسلام دينٌ واحد، ويتضمن حقائق محددة، أراد إيصالها للبشر، إلا أن الإنسان بتركيبته المعقدة جدًّا والمتأثرة بالبيئة، والتربية، والحالة النفسية، والمحيط السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، لا يقارب الأشياء بصرامة المنهج الموضوعيّ، وإنما يقاربها بما ينسجم مع ظرفه ونفسيته ومصلحته، فلا يرى الحقائق كما هي،

وإنما يراها على النحو الذي يحب هو أن يراه، ومن هنا أنا لا أتصور أن هناك دينًا سماويًّا لم يأمر أتباعه بتهذيب النفس، وتوخي الحق، ونبذ التعصب، وعدم اتباع الظن، وقد أكد القرآن على ذلك بقوله ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]، فالبرهان هو الوحيد الذي يجب أن يسود، والمنطق السليم هو الذي يجب أنْ يحكم بين المختلفين في الفهم.

ومع اعترافنا بتأثّر الإنسان بكل تلك العوامل، إلا أننا نؤكد على عدم حتمية هذه المؤثرات، فالإنسان في حقيقته ليس مجرد إمّعةٍ تابع لغيره، وإنما بمقدوره المقاومة والتحدي لجميع تلك الظروف واختيار ما يعتقد به بكل حرية وتحرر، فقد خصّ الله الإنسان بإرادةٍ واعية وعقل نيّر وروحٍ تواقة للحقيقة، وعلى ذلك لا يكون الإنسان معذورًا في اتباعه الاعمى لما وَجد عليه الآباء، فقد حارب القرآن هذه النفسية المنكسرة، وطالب الإنسان باتباع الحق حتى لو كان مخالفًا لما عليه قومه وعشيرته، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[2]، وعليه فمع اعترافنا بالجانب المُنْفعل في الإنسان، نعترف أيضًا بالجانب الفاعل فيه، وهو جانب الروح العصيّة على الانكسار. فليس هناك ظروفٌ حتمية وقدرٌ لازم تفرضه الوراثة أو التربية كما يوحي السائل بكلامه.

---

(١) البقرة:١١١.

(٢) البقرة:١٧٠.

وإذا اتضح ذلك فالسُّني أو الشيعي مسؤول عما يؤمن به ويعتقده، ومن هنا نجد أن علماء الشيعة قد حرّموا التقليد في العقائد، وأوجبوا على كل مكلف تحصيل عقائده بالدليل والبرهان، وإذا كان هناك من لا يُعنى بهذه القضية، ولا يتحرى في ما يعتقد فتلك مسؤوليته الشخصية، ولا علاقة للإسلام أو المذهب بها.

أما فضل العلوم الإسلامية فيعرفه من اقترب منها، واشتغل بدراستها والاطلاع عليها، أما الذي يحكم عليها من واقع جهله بها فليس لحكمه أيّ قيمة، فقد سطر العلماء آلاف الكتب التي بيّنوا فيها حقائق الإسلام بالدليل والبرهان بحيث لا يجد المنصف مفرًّا غير التسليم بما فيها من حقائق سواء كان بوذيًّا أو غيره.

أما أنّ المسلمين فصَّلوا الأحاديث بما يتناسب مع اعتقاداتهم، فهذا قولٌ فيه تجنٍّ وجهل بحقيقة الأحاديث والمرويات، فهناك مناهج علمية في غاية الانضباط المنهجي فصّلها علماء الإسلام في ما يخص سند الأحاديث ومتنها، ولا يستطيع ـ كائنًا من كان ـ أنْ يفصِّل أحاديث على مقاسه.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



لا بد أن يكون لله رسالة تكشف للإنسان الطريق الذي ينبغي أن يسير عليه

المستشكل: فائق أحمد

الإشكال: الدقة في خلق الإنسان والكون تشير إلى خالق حكيم، ولكنّ افتراض أن الخالق موجودٌ في كل شيء في الحياة، فهل هذا الفرض شيءٌ معقول؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

قبل الإجابة على نحو مباشر على هذا السؤال لا بد من بيان الخلفية الفكرية التي ينطلق منها السائل، حيث يتضح من السؤال أن السائل ينتمي إلى اتجاه يسمى بالربوبية، وهو نمطٌ من التفكير، يسلِّم بوجود إله خالق لهذا الكون بما فيه من قوانين، إلا أنه لا يسلِّم بوجود أديان تشكِّل نوعًا من التواصل بين الإنسان وبين الخالق، أي أنهم يصدِّقون بوجود الله، ويكذِّبون وجود الرسل،وعليه فهم ليس لهم

دينٌ من ناحية وليسوا ملحدين من ناحية أخرى، وبحسب تعريف روبرت س. سولمون Robert C. Solomon، الأستاذ في جامعة تكساس فإنّ الربوبية هي «الاعتقاد بضرورة وجود إله خلق العالم بكل قوانينه، ولهذا يقبل مذهب الربوبية ـ عادة ـ بصورةٍ من صور الدليل الكون، ولكنه يؤكد ـ مع ذلك ـ على عدم وجود تبرير عقلي للاعتقاد بأن الله يولي اهتمامًا خاصًّا بالإنسان والعدالة الإنسانية، ويرفض أي صفات تشبيهية نضفيها على الذات الإلهية، كذلك الاعتقاد بالقصص التوراتية حول الإله».

وقد برز هذا المذهب في عصر التنوير الذي حدثت فيه ردة عنيفة ضد الكنيسة وتعاليمها، فكان هو الخط الآخر الموازي لخط الإلحاد، بل قد يمثل المخرج الذي يلجأ إليه الإلحاد عندما تحاصره الأدلة القطعية بوجود الله تعالى، مثل ما فعل عالم الإلحاد المعاصر أنطوني جيرارد نيوتن فلو (١٩٢٣م – ٢٠١٠م) الذي اشتهر بكتاباته في فلسفة الأديان، والتي أصّل فيها للإلحاد حتى بات من أعظم منظِّريه، وقد ألف في ذلك أكثر من ثلاثين كتابًا، غير أنه وفي آخر حياته رجع عن كل ذلك، وألّف كتابًا تحت عنوان (هناك إله).

ويبدو أن من العوامل المؤثرة في نشوء مثل هذا التفكير هو عدم تمكن المسيحية واليهودية من تقديم تفسير واضح ومنضبط للقضايا المحورية التي تواجه الإنسان، مثل خلق تصور واضح لوظيفة الأديان في حياة الإنسان، أو تقديم فلسفة متماسكة تكشف عن غاية وجود الإنسان ضمن تصور الأديان، وغير ذلك من المسائل التي

تباينت حولها المدارس المسيحية واليهودية، مضافًا للتفسيرات الخرافية والأسطورية التي لا يمكن مقاربتها عقليًّا، ومن هنا فلابد من الإشارة إلى أننا لا نقصد بالإجابة الدفاع عن دين محدد، وإنما نحاول أنْ نستدل على ضرورة وجود تواصل بين الله وبين الإنسان عبر الرسل، وقد أفرد علم الكلام الإسلامي مساحةً واسعة لإثبات ضرورة الأنبياء والرسل، إلا أننا ن نعرض في هذه العجالة ما ذُكر هناك من الأدلة، وإنما سوف نناقش الأمر من الزاوية نفسها التي تطرّق لها السؤال.

يقول السائل: إن الدقة في خلق الإنسان والكون تشير إلى خالق حكيم، إلا أن الحِكمة التي أشار إليها لا تكون مفهومةً ما لم يكن وجود الإنسان قد جاء ضمن خطة لها أهداف وغايات، ومن البديهي أن يكون الإنسان هو المخلوق الوحيد المسؤول عن هذه الأهداف والغايات، لأنه الوحيد الذي يعي وجوده ووجود من حوله من المخلوقات، فالإنسان هو الذي يجد للحكمة معنىً، ويجد لوجوده حِكمة، وفي الاتجاه الآخر فإن الإنسان ليس عقلًا مجردًا، وإنما هناك نوازع أخرى في الإنسان لها علاقة برغباته وشهواته وميوله الشخصية.

ومن هنا كان النزاع الذي يعيشه كل إنسان في أعماق نفسه ضرورةً يفرضها التباين بين خيارات العقل وخيارات النفس، الأمر الذي يهدد وصول الإنسان لغاياته وأهدافه التي خُلق من أجلها، فتضيع الحِكمة من وجوده.

وعليه فإن القول بأن العقل وحده قادرٌ على قيادة الإنسان في الاتجاه صحيح قولٌ صحيحٌ إذا كان الإنسان عبارة عن عقلٍ مجرد

عن الهوى والشهوات، وهذا غير واقعي؛ لأن الإنسان كائنٌ مركب من عقل ومن شهوات، وعليه فلا يستغني العقل عن تذكيره الدائم بأهدافه السامية وغاياته العليا، وتذكيره أيضًا بالمخاطر والعقبات التي تعترض طريقه، وهذا هو ذاته ما يقوم به الأنبياء والرسل، ومن هنا كانت رسالة الإسلام قائمة على التذكير والتنبيه، وبذلك لا يمكن أن نفهم الأديان بوصفها سلطة فوقية، فرضت على الإنسان بحيث تصادر قدراته وخياراته، وإنما هي مجرد إرشاد للإنسان لما فيه صلاحه، فالله موجود في كل شيء في الحياة، وليس معنى أنه يلغي إرادة الإنسان وشخصيته، وإنما هو موجود في كل شيء؛ لأنه يمثل الحق والقيم والفضيلة في كل فعلٍ يقوم به الإنسان.

وعليه فإن وظيفة وجود رسالةٍ نابع من أن الإنسان لا يستغني عن تذكيره الدائم بما يجب أن يكون عليه، مضافًا إلى أن الإنسان لا يمكنه أن يرسم غايات وجوده من تلقاء نفسه، لأن الأمر يتوقف على نوعٍ من العلم التفصيلي والواقعي بالإنسان والحياة وكلِّ ما في الوجود، وهذا ما لا يمكن أن يدعيه عاقل، وعليه فلابد أن يكون لله رسالة تكشف للإنسان الطريق الذي يجب أن يسير عليه.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

الاختلاف على مستوى الظاهر القرآني ليس بسبب غموض الظاهر

السائل: أمير أحمد

السؤال: هل اختلف تفسير ظاهر القرآن بين العلماء أو أنّ الاختلاف يكمن في باطنه والمسائل العميقة فيه؟

فإذا اختلفوا في تفسير ظاهره فما سبب هذا الاختلاف؟ هل آيات الله تحمل أكثر من معنى؟ ويظهر معناها حسب فكر الشخص وعصره أو أن هناك معنى واحدًا إما تصيبه أو لا.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

عندما نقول: إنّ الضابط في فهم القرآن هو الاحتكام للظواهر وطريقة العقلاء، فهذا لا يعني عدم وجود تباينات في وجهات النظر؛ لأن الاختلاف طبيعةٌ إنسانية، وقد يحدث في أوضح الأمور، إلا أن مرّد الخلاف لا يعود إلى كون ظاهر القرآن فيه غموض، وإنما يعود في أغلبه إلى عوامل خارجة عن طبيعة النص نفسه، فمثلًا بعض الآيات

التي حدث فيها اختلاف بين العلماء كانت بسبب الرؤية المذهبية التي ينطلقون منها، فإذا أخذنا مثالًا لذلك، وهو قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(١)، نجد أن الحشوية والمجسِّمة حملوا كلمة (يد) على اليد الجارحة متمسكين بظاهر لفظة (يد) في دلالتها الوضعية، مع أن ظاهر الكلمة لا يُحمل على الدلالة الوضعية (الإفرادية) إذا وجدت الكلمة ضمن سياق خاص، فهناك دلالة تصورية، وهي الدلالة التي تلحظ الكلمة بعيدًا عن أي سياق، أي الكلمة بما هي بعيدة عن استخدامها في الجملة، وهناك دلالة تصديقية، وهي التي تلحظ الكلمة ضمن وظيفتها في السياق، أو كما تسمَّى بالمراد الجدِّي للكلمة، فعندما نقول (البلد في يد السلطان) لا يمكن التمسك بالدلالة الوضعية لكمة (يد)، وإنما الظهور الطبيعي للكلمة هنا يُكتشَف بمقارنتها بموقعها في السياق وما قصده المتكلم، فيكون معنى اليد حينها إشارة إلى كون البلد تحت سلطة السلطان، وتصح هذه الجملة حتى لو كان السلطان مبتور اليدين.

وعليه فإن الاختلاف على مستوى الظاهر قد يحدث، ولكن السبب فيه ليس غموض الظاهر وإنما عوامل أخرى.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) الفتح: ١٠.

إطلاق سراح أسارى قريش لا يعدّ خيانةً لدماء الشهداء

السائل: محمد شلال

السؤال: هل يعدّ طلب النبي محمد في معركة بدر من أسرى قريش أن يعلموا عشرة من المسلمين القراءة والكتابة لقاء حريتهم خيانة لدماء شهداء المسلمين الأوائل، أو أن الطلب يتناغم مع قيمة التعليم والحرص الإلهي الذي علم الإنسان بالقلم؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

بعيدًا عن القيمة الذاتية للعلم والتعليم، وبغض النظر عن الآثار الإيجابية المترتبة على تعليم كل أسير عشرةً من أطفال الأنصار، فإن الخيانة ـ في كونها عنوانًا سلبيًّا ـ لا ينطبق على فعلٍ من الأفعال ما لم يكن فيه نقض للغرض ومخالفةٌ للهدف الذي تعاهد فيه مع غيره، فالخيانة في حقيقتها تعني التفريط بالعهود والمواثيق، والخائن هو الذي خان ما جُعل عليه أمينًا، وعلى وفق هذا المحدِّد الجوهري فإن خيانة دماء

الشهداء لا تكون إلا بالتنازل عن الأهداف التي استشهدوا من أجلها.

وعليه، فإن إطلاق سراح أسرى الحرب بالعفو عنهم دون مقابل أو مع مقابل، أو حبسهم، أو غير ذلك من الإجراءات المناسبة للظرف، لا يعدّ خيانة لدماء الشهداء طالما لم يفرِّط الذي أَطلق سراحهم بالهدف المحوري والغاية المركزية، وما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - بحسب الروايات التاريخية مع بعض الأسرى - ليس إلا تعزيزٌ لمسيرة الإسلام؛ بل الحرب والقتال ليس إلا واحدةٌ من الوسائل التي تخدم هذه المسيرة.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



الإسلام ـ باعتباره دينًا ـ لا علاقة له بكل ما جرى في الفتوحات الإسلامية

السائل: مرتضى الشيخ باقر

السؤال: هناك فئةٌ من الناس تتهجم على الإسلام بحجة أنه في الفتوحات أباح زواج النساء المحصنات، وأنه يأمر باغتصاب النساء المتزوجات وغير هذا الكلام.. هل يمكن توضيح هذا الأمر؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

عمِل الإسلامُ على بناء نظام خُلُقي متين لا تضيع فيه الحقوق، ولا يُتعدى فيه على الأعراض، ولمعرفة موقف الإسلام من أي قضية فلا بد من الرجوع إلى نصوصه التي تمثل مصدر تعاليمه وتشريعاته، أما عمَل المسلمين وممارستهم السلوكية فلا علاقة لها بالإسلام، ولا يتحمل الإسلام تبعاتها.

وفي ما يخص السؤال، فمن الواضح جدًّا أن الإسلام لا يجيز زواج

النساء المحصنات، وقد حرّم ذلك بأوضح العبارات، وقد حرّم أي علاقة خارج إطار الزوجية مثل الزنا والاغتصاب، بل حرم كل ما يثير الشهوة من النظر والتبرج وإظهار الزينة، وكذلك حرص الإسلام على طهارة المجتمع وعفته.

والفتوحات الإسلامية التي حدثت في التاريخ وما صحابها من تجاوزات تتحمل مسؤوليتَها السلطةُ السياسية التي استأثرت بالأمر، وحرَفته عن أصحابه الشرعيين، وبهذه الحالة يمكننا التأكيد على أن الدافع السياسي وحده هو الذي يقف خلف تلك الحروب، ولا علاقة للإسلام -باعتباره دينًا- بكل ما جرى من تجاوزات، ومن هنا فلسنا مضطرين للدفاع عن تلك التجربة التاريخية؛ لأنها لا تعبِّر عن الإسلام، وإنما تعبِّر عن رغبة السلطة السياسية في توسيع نفوذها وثرواتها، وهكذا لا يبقى مبررٌ أمام التيارات المعادية في اتهامها للإسلام طالما لم تأمر نصوصُه بذلك.

الحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



دقة القرآن الكريم في وصف الكافرين بالكلْب اللاهث

المستشكل: حبيب العاني

الإشكال: (كمثل الكلب إن تحملْ عليه يلهث أو تتركه يلهث) الكلب لا يلهث إلا فى المناطق الحارة؛ لأنه لا يملك غددًا عَرَقية.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

يبدو أن السائل يشير إلى الإشكال القائل بأن الكلب لا يلهث إلا في المناطق الحارة، أما في المناطق الباردة فلا يلهث، وعليه فلا يكون الوصف القرآنيّ دقيقًا كما يزعمون، وهذا خلاف الواقع، وقد أَثبتت الدراسات العلمية الحديثة في السلوك الحيواني أن الكلب لا يملك غددًا عرَقية؛ ولذا يعوّض عن ذلك باللهث حتى يوازن درجة حرارة جسمه، ولذا يحق لنا القول:

إن الكلب حيوان لاهث في جميع الحالات وفي جميع درجات الحرارة، وتتفق التجربة العلمية مع التجربة العرفية حيث إننا لو سألنا

الجميع عن أبرز ما يتصف به الكلب لقالوا جميعًا: اللهثان، فالتجربة البسيطة كافيةٌ للتدليل على كون اللهث من الصفات الظاهرة والثابتة للكلب، وفي المقابل لا وجود لحيوان آخر يمكن أن ينافس الكلب في هذه الصفة.

ثم إنه لا يشترط في إلحاق هذه الصفة بالكلب أنْ يكون في حالة لهاثٍ دائمٍ وبدون توقُّف، وإنما يكفي أن تكون من الصفات الغالبة والخصائص الدارجة، فعندما يضرب القرآن مثلًا بلهثان الكلب إنما يعتمد على حقيقة واضحة ومعروفة عند الجميع.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



القرآن يتحدث عن أصل وجود الماء لا عن وسائل استخراجه

المستشكل: حبيب العاني
الإشكال: يقول القرآن (أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورًا فمن يأتيكم بماء معين) والآن المضخات الغاطسة تستطيع أن تأتي بالماء من أي عمق.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذه الآية جاءت في سياق آيات أخرى، كلُّها تؤكد على حقيقة المنعم الأول الذي هو الله تعالى، وعليه فليست الآية في مقام الكلام عن وسائل استخراج الماء من باطن الأرض، وإنما تتحدث عن المصدر الأصلي لهذا الماء، ويبدو أن الإشكال الذي برز في ذهن السائل كان نتيجة تصوره بأن الآية تتحدث عن عجز الإنسان البدائي في الوصول إلى الماء، مع أن الإنسان الحديث -وبما يمتلكه من أجهزة وأدوات- يمكنه أن يصل إلى الماء في أي عمق كان، وهذا خلاف مراد الآية التي تؤكد على أن أصل وجود وزوال هذه النعمة

بيد الله تعالى وحده، فإذا تفضل على الخلق جعل الماء معينًا - أي ظاهرًا للعيان - يجري على سطح الأرض، وإذا أمسكه، وجعله غورًا -أي مختفيًا لا أثر له- فلا يمكن إيجاده بأي وسيلة كانت؛ لأنه حينها يصبح عدمًا.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



المماثلة بين آية التطهير وآيات أخرى لإبطال عصمة أهل البيت عليهم السلام

المستشكل: داود أيهم، الجزائر

الإشكال: السلام عليكم.. الآية (٣٣): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. انظروا معي يا شيعة: الله أذهب عن أهل البيت الرجز، وطهرهم منه.

ويقول الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾.

انظروا معي يا شيعة: الله تعالى في هذه الآية: أَنزل ماء من السماء، وطهرهم، وأذهب عنهم رجز الشيطان، وربط على قلوبهم وثبت أقدامهم.. فمَن الأولى بالعصمة؟ فكروا بعقولكم يا شيعة ثم أجيبوا.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

أولًا: أن استدلال الشيعة الإمامية على عصمة وطهارة أصحاب

الكساء من الرجس في آية التطهير إنّما هو بمجموع الآية الكريمة: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وليس بخصوص مفردة أو مفردتين منها، وبيان ذلك:

من الثابت والمسلَّم به بين الفريقين نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[(١)]، في الرسول الأكرم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله وسلامه عليهم) خاصّة، وخروج بقية بني هاشم وأقرباء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وزوجاته من مراد الآية.

قال فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب: «وأنا أقول: آل محمدٍ صلى الله عليه وسلم هم الذين يؤول أمرُهم إليه، فكلُّ من كان أمرُهم إليه أشدَّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أنّ فاطمة وعليًّا والحسن والحسين كان التعلُّق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ التعلُّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أنْ يكونوا هم الآل»[(٢)].

هذا، وقد نص على نزولها فيهم (صلوات الله وسلامه عليهم) ستين عالمًا من علماء أهل السُّنة في مصادرهم[(٣)].

فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أي إنّما يريد اللهُ بالإرادةِ التكوينيّة الحتمية أنْ يُذهب -والإذهاب هنا دفعيٌّ لا رفعيٌّ- عنكم الذنوبَ أهلَ البيت، ويطهّركم

---

(١) الأحزاب: ٣٣.
(٢) مفاتيح الغيب، ج١٣، ص٤٣٢.
(٣) انظر: موسوعة الإمام الحسن عليه السلام في القرآن الكريم، ج٢، ص١٦٦- ١٧٦.

منها تطهيرًا، وتأكيد دلالة الفعل ﴿يُطَهِّرَكُمْ﴾ بالمفعول المطلق ﴿تَطْهِيرًا﴾ فيه دلالة على أنهم عليهم السلام، قد نالوا أعلى مراتب التطهير وأكملَها، قال ابن حجر في الصواعق: «حكمة ختْم الآية بـ﴿تَطْهِيرًا﴾ المبالغة في وصولهم لأعلاه وفي رفع التجوز عنه ثم تنويه تنوين التعظيم والتكثير والإعجاز المفيد إلى أنه ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف، ثم أكد ذلك كله بتكرير طلب ما في الآية لهم بقوله: اللهم هؤلاء أهل بيتي إلى آخر ما مرّ وبإدخاله نفسه معهم في العد لتعود عليهم بركة اندراجهم في سلكه، بل في روايةٍ أنه اندرج معهم جبريل وميكائيل إشارة إلى عليِّ قدرهم»[1].

فقوله تعالى: ﴿تَطْهِيرًا﴾، إنما هو للإشارة إلى كون تطهيره إياهم نوعًا مميزًا ليس مما يَعهد الخلق مثله، ولا مما يحيطون به دركًا، وهذا هو مقام العصمة.

وأما معنى ﴿الرِّجْسَ﴾ في ما نحن فيه فواضح الدلالة، وحسبي أنْ أسوق بعض أقوال علماء أهل السُّنة دون شرحٍ أو تعليقٍ، فهي كافيةٌ في إيضاح المراد، وإليك هذه النماذج من أقوالهم:

قال الإيجيّ في جامع البيان: «﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾: خبائث القلب، أو ما ليس لله فيه رضًا»[2].

وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة: «الرجس الَّذِي هُوَ الْإِثْم أَو الشَّك فِي مَا يجب الْإِيمَان بِهِ عَنهُ وتطهيرهم من سَائِر الْأَخْلَاق

(١) الصواعق، ج٢، ص٤٢٧.

(٢) جامع البيان، ج٣، ص٣٥١.

وَالْأَحْـوَال المذمومـة»[١].

وقال الراغب الأصفهانيّ في تفسيره: «قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ومعلوم أنه تعالى لم يُرِدْ تطهيرًا عن نجاسةٍ في ثوبٍ وبدن، وإنما أراد تطهيرَ النفس الذي يستحق به المدح والخلود والبقاء الدائم»[٢].

وقال الثعالبيُّ في تفسيره، ومثله ابن عطية في تفسيره: «الرجس اسمٌ يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسات والنقائص، فأذهبَ اللهُ ذلك عن أهل البيت»[٣].

وجاء في تفسير الجلالَين: «أن معنى الرجس الإثم»[٤]، وفي تفسير البَيضاويّ: «معنى الرجس المعاصي»[٥].

اذن، فالمراد من لفظ الرجس في الآية الشريفة هو الأمورُ المعنويّة دون المادّيّة الظاهريّة، أو الأعم منها؛ لأنّه لا معنى لحصر الإرادة الإلهيّة بإذهاب الرجس عن المخاطَبين على أنّه القذارة الظاهريّة المحسوسة، فهو من تحصيل الحاصل؛ إذ المخاطَبون وغيرهم مأمورون بإزالة القذارة الظاهريّة، فثبت أنّ المراد من مفردة الرجس في الآية الشريفة ما هو أعمّ من القذارة المادّيّة والمعنوية، ومعلوم أن الماء لا يطهر الإنسان

(١) الصواعق المحرقة، ج ٢، ص ٤٢٦.
(٢) تفسير مفردات ألفاظ القرآن، ص ١٢٧.
(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج٤، ص٣٤٦؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٤، ص٣٨٤.
(٤) تفسير الجلالَين، ص٥٥٧.
(٥) تفسير البَيضاويّ، ج٤، ص٣٧١.

إلا من الحدث والخبث، أما الأرجاس المعنوية فلا يتم تطهيرها عن طريق الماء، فافهم.

ثانيًا: أما قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[1]، فليس في هذه الآية الكريمة إخبار عن طهارة أحد وعلى نحو مطلق ومن جميع أفراد الرجس، سوى الإخبار بأن الله سبحانه أنزل عليهم ماء من السماء ليطهرهم به، والماء -كما هو معلوم بالضرورة- لا يطهِّر الإنسان إلا من الحدث والخبث، أما الأرجاس المعنوية فلا يحصل تطهيرها بالماء.

فما زعمته في كلامك من وقوع التطهير لغير أصحاب الكساء بالاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ هو من القصور في فهم الآيات الكريمة، فالطهارة المذكورة في هذه الآية هي الطهارة المائية، بينما المذكور في آية التطهير هو الطهارة المعنوية كما بيّناه أولًا.

والحاصل أن الآية نزلت في غزاة بدر، كما ذكر ذلك البغوي وغيره: «أن المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب أعفر، تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم، وسبقهم المشركون إلى ماء بدر، وأصبح المسلمون بعضهم محدثين وبعضهم مجنبين، وأصابهم الظمأ ووسوس

(١) الأنفال: ١١.

إليهم الشيطان، وقال: تزعمون أنكم على الحق، وفيكم نبي الله، وأنكم أولياء الله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون محدِثين ومجنبين، فكيف ترجون أن تظهروا عليهم؟ فأرسل الله عز وجل عليهم مطرًا سال منه الوادي، فشرب المسلمون، واغتسلوا، وتوضؤوا، وسقوا الركاب، وملؤوا الأسقية وأطفأ الغبار، ولبّد الأرض، حتى ثبتت عليها الأقدام، وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وطابت أنفسهم، فذلك قوله تعالى: وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الأحداث والجنابة، ويذهب عنكم رجز الشيطان، ووسوسته، وليربط على قلوبكم، باليقين والصبر، ويثبت به الأقدام، حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيد الأرض»[١].

وقال ابن عاشور في تفسيره: «و(الرجز) القَذَر، والمراد الوسخ الحِسي وهو النجس، والمعنوي المعبر عنه في كتب الفقه بالحَدَث. والمراد الجنابة، وذلك هو الذي يعم الجيش كله، فلذلك قال: ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾، وإضافته إلى الشيطان؛ لأن غالب الجيش لما ناموا احتلموا، فأصبحوا على جنابة، وذلك قد يكون خواطر الشيطان يخيلها للنائم ليفسد عليه طهارته بدون اختيار طمعًا في تثاقله عن الاغتسال حتى يخرج وقت صلاة الصبح، ولأن فقدان الماء يلجئهم إلى البقاء في تنجس الثياب والأجساد، والنجاسة تلائم طبع الشيطان. وتقدير المجرور في قوله: ﴿عَنْكُمْ

(١) تفسير البغوي، ج٢، ص٢٧٤.

﴿رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ للرعاية على الفاصلة، لأنها بنيت على مد وحرف بعده في هذه الآيات والتي بعدها، مع ما فيه من العناية بهم.

وقوله: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ أي يؤمّنكم بكونكم واثقين بوجود الماء لا تخافون عطشًا، وتثبيت الأقدام هو التمكن من السير في الرمل، بأن لا تسوخ في ذلك الدهس الأرجل، لأن هذا المعنى هو المناسب حصوله بالمطر»[1].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) التحرير والتنوير، ج٦، ص٩٢؛ وينظر: تفسير الرازي، ج٧، ص٣٧٥.

التفاضل بين الأنبياء والأئمة عليهم السلام أمره بيد الله

السائل: خالد جعفر العتابي

السؤال: هل يعدّ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أفضل الأئمة المعصومين لأنه صاحب المعجزة الكبرى؟!

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

لقد ثبت في مروياتنا فضل أمير المؤمنين علي عليه السلام على بقية الأئمة حتّى الحسن والحسين عليهما السلام.

فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خير منهما»(١).

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «عليٌّ أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم»(٢).

---

(١) قرب الإسناد للحميري: ١١، الخصال للصدوق: ٥٥١، شرح الأخبار للقاضي النعمان ١: ١٤٣.

(٢) الكافي للكليني ١: ٢٢٩.

كما ثبت فضل الحسنين عليهما السلام على الأئمة من دونهم.

جاء عن الإمام الرضا، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين خير أهل الأرض بعدي، وبعد أبيهما»[١].

ثمَّ يأتي بعدهما في الفضل الإمام المهدي عليه السلام.

جاء حديثٌ عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال في آخره: تاسعهم باطنهم ظاهرهم قائمهم، وهو أفضلهم[٢].

فهذه هي عقيدتنا في أفضلية الأئمة عليهم السلام بعضهم على بعض، وهو ما أثبته علماؤنا في كتبهم.

قال أبو الفتح الكراجكي - من علماء الشيعة الكبار في القرن الخامس الهجري، توفي سنة ٤٤٩ هـ - في كتابه "كنز الفوائد" وهو يتحدث عن عقائد الإمامية: «ويجب أن يعتقد أنّ أفضل الأئمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام... وأنّ أفضل الأئمة بعد أمير المؤمنين ولده الحسن ثم الحسين، وأفضل الباقين بعد الحسين إمام الزمان المهدي عليه السلام ثم بقية الأئمة بعده على ما جاء به الأثر وثبت في النظر»[٣].

أمّا قولكم اعتبار الأفضلية للإمام المهدي عليه السلام بلحاظ كونه صاحب المعجزة الكبرى، فلم نعرف مقصودكم بالمعجزة الكبرى ما

(١) عيون أخبار الرضا ع للصدوق ٢: ٦٧.
(٢) الغيبة للنعماني: ٧٣، بحار الأنوار ٢٥: ٣٦٣.
(٣) كنز الفوائد: ١١٣.

هـو.. هـل تقصـدون كونـه سـيقيم دولـة العـدل الإلهيـة الكـبرى، وهـذه تعـدّ معجـزة كـبرى، وهـي منـاط الأفضليـة؟

فجوابـه: أن التفاضـل بـين الأنبيـاء والأئمـة عليهم السلام أمـره بيـد الله، فهـو أعـرف بأفضلية بعضهـم عـلى بعض، فهـو القائـل سـبحانه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[1]. ومـن هنـا ليـس علينـا في بـاب تحديـد أفضليـة نبـي أو إمـام معصـوم عـلى غـيره مـن الأنبيـاء أو الأئمـة سـوى الإذعـان للنصـوص الشرعيـة في هـذا الجانـب، أمّـا بقيـة النـاس -غـير الأنبياء والأئمـة المعصومـين- فالتفاضـل بينهـم يعـود للضوابـط الشرعيـة -كالتقـوى والعلـم-، والخُلقيـة وللعقـلاء كالكـرم والخصـال الحميـدة.

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



(١) البقرة: ٢٥٣.

اللغة العربية محفوظة بحفظ اللّه لكتابه

السائل: عباس شاكر

السؤال: السلام عليكم، لدي تساؤلات حول القرآن:

إذا كان هناك ضوابط لفهم القرآن فما هي غير اللغة؟ ألم يحسب الله حسابًا لأن تندثر لغة العرب الأصيلة في المستقبل، ويتكلم الناس بلغة عربية بسيطة أو أن الله وضع شروطًا لفهم كتابه؟ ومن يريد فهمه يجب أن يوفر الشروط.

هل الفهم الحالي للقرآن هو الفهم الحقيقي أو أن ذلك محاولات فقط للوصول للمعنى الحقيقي الذي تحتويه الآيات؟

أليس الأفضل أن ينزل الله كتابًا يستطيع الكل فهمه والعمل به؟

ألم يكن القرآن لعامة الناس أو هو نزل لفئة محددة هي تختص به، وتقدم فهمها للناس، وعليهم أن يتبعوا فهمهم؟

تساؤلات أرجو الإجابة عنها

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

قد أنزل الله كتابه بلسان عربي مبين، مما يعني أنه جار في ألفاظه ومعانيهِ، وأساليبِهِ، على لسانِ العربِ الفصيحِ. قالَ تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] فاكتسبت اللغة العربية بالقرآن حيويةً جعلتها عصيةً على الانقراض أو التحريف، والشاهد على ذلك أن اللهجات المختلفة بين العرب لم تؤثر على اللغة الفصحى، فمع أنها متباينة إلى درجة يصعب معها التفاهم أحيانًا، إلا أن الجميع يتفقون على لغة القرآن، وحينما يقرأون القرآن تتوارى كل اللهجات خجلًا أمام فصاحة القرآن وروعته، ومن هنا لا خوف على هذه اللغة من الاندثار لأنها محفوظةٌ بحفظ الله لكتابه.

أما المراد من اللغة العربية التي تؤهل الإنسان لفهم كتاب الله فهي معرفة مقاصد العرب وأساليبهم في الكلام، سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة، كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، أم حصل ذلك بالتلقي والتعليم، فهناك مقدار من المعرفة تؤهل الإنسان لقراءة القرآن بالطريقة الصحيحة مع فهم ظواهره بالقدر الذي يحقق الموعظة والهداية، فالتدبر في آيات القرآن هو الذي يحقق التفاعل بين المسلم وبين كتاب الله، فالقرآن كتاب متاح للجميع، كلٌّ بقدره.

أما من يتصدى لتفسير القرآن الكريم فلا بد أن يكون أكثر خبرةً ودرايةً بالقواعد والتصاريف والاشتقاقات وبكل ما اشتملت عليه اللغة العربية من دقائق؛ لأنه مسؤول أمام الله عن كل من يعمل

(١) يوسف: ٢.

بتفسيره، ويعتمد على استنباطاته. ومع قيمة اللغة في التفسير إلا أن الاعتماد عليها فقط ليس صحيحًا، فهناك علوم ومعارف أخرى يجب على المفسر الإلمام بها، مثل علم الحديث وروايات المعصومين، وعلم أصول الفقه للتمييز بين النص والظاهر، والمجمل والمبين، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والمكي والمدني وغير ذلك من علوم القرآن.

أما السؤال عن التفاسير، وهل تمثل مراد الله أو هي مجرد محاولة لفهم القرآن؟ فإن الضابط في كل ذلك هو الالتزام بالمناهج العلمية وبضوابط التفسير التي أجمع عليها أهل الاختصاص، فالتفاسير التي تبتعد عن الآراء الخاصة، وتسترشد بأحاديث المعصومين عليهم السلام، وتتوخى الحذر في بيان المعاني تعد من التفاسير المعتبرة، والعمل بما فيها مبرئ للذمة.

أما التفاسير التي تعتمد على الآراء الخاصة وإسقاط المفاهيم من الخارج على آيات القرآن، كمن يفسر القرآن من أجل أن ينتصر لفكره أو ليكرس قناعاته، فلا يعتد بتفسيره، والمعيار في ذلك هو الاحتكام لظواهر النصوص وطريقة العقلاء في فهم مرادات الخطاب، فمن يتجاوز الظاهر لمعانٍ بعيدة كما يفعل بعض المتصوفة الذين يضربون بالظاهر عرض الحائط بحجة البحث عن الباطن، أو غير ذلك من أساليب أهل الأهواء فإنه يعد من مصاديق التفسير بالرأي المذموم شرعًا.

وعليه فإن وظيفة التفاسير هي الكشف عن ظواهر الآيات وتيسير

المعاني للجميع، والرجوع إلى أهل الخبرة والاختصاص مما اعتاد عليه العقلاء، وعلماء الإسلام الذين تخصصوا في تفسير القرآن وبيان معانيه يجب الرجوع إليهم بوصفهم أهل الخبرة، ولا يجوز للجاهل منازعتهم بحجة أن القرآن جاء للجميع، ولا يعني هذا أن المسلم البسيط لا يمكنه الاستفادة من القرآن بتلاوته والتدبر في آياته قال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾[1] أي أن إمكان الاستفادة من هدى القرآن متاحٌ للجميع، بشرط أن يقبل عليه الإنسان بقلب سليم، قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم علىٰ قلوب أقفالها﴾[2]، أما من أراد الاستزادة من معارف القرآن فيجب عليه التتلمذ على يد العلماء.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

❁❁❁

(١) القمر: آية ١٧.
(٢) محمد: آية ٢٤.

التشيّع جبل راسخ في الأرض ومعالمه واضحة للجميع

السائل: سيف ذو الفقار

السؤال: سلام عليكم ورحمه الله وبركاته.. عظم الله لنا ولكم الأجر بمصاب المولى المبجل الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام.

هناك من يحسب نفسه على مذهب التشيع، ويدعى (ميثاق العسر) يطرح شبهات، ويدعي أنه يريد الفصل بين التشيع المذهبي والتشيع الحقيقي.

فأحد شبهاته هي عن «قارورة أم سلمة رضي الله عنها».

أنقل لكم كلامه:

الإشكال: قارورة أمّ سلمة حقيقة أم خيال؟!

إذا ما أردنا الحديث على نحو علمي وموضوعيّ وواقعيّ فإنّ أمّ سلمة زوج الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم قد توفّيت قبل واقعة كربلاء الحزينة، وذلك متّفق عليه في كلمات معظم وأبرز مؤرّخي القرون الثّلاثة الأولى، وإنّ خبري عبيد الله بن القبطيّة وشهر بن حوشب اللّذين اعتمدهما الذّهبي وأضرابه في نقض ذلك وتمديد عمرها لما بعد ذلك لا يصمدان سندًا ومضمونًا أمام المداقّة والتّحقيق، فضلًا عن حكاية القارورة وغيرها من السّيناريوهات المتعلّقة بلحظة وصول خبر مقتل الحسين بن عليّ عليه السلام إلى هذه المرأة....

وفي النّيّة نشر سلسلة من المقالات تحمل عنوان: "تأمّلات في قارورة أمّ سلمة" نحاول جاهدين البرهنة فيها على أصل المدّعى آنف الذّكر، بأمل أن نضع نهاية حتميّة للتّوظيفات المذهبيّة والمنبريّة المبالغ فيها لهذه المرأة، فتفطّن كثيرًا، وتحصّن بالعلم؛ واعلم أنّها نتيجة ستنقض غزل أصحاب تلك التّوظيفات وتضربهم بالصّميم، والله من وراء القصد.

ميثاق العسر.

نرجو التوضيح والرد.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذه المحاولات من هذا البعض وأمثاله مثيرة للشفقة واقعًا، وهي لا تدعو للرد في أكثر الأحيان لسذاجتها وبساطتها، لكننا سنجيب عليها باختصار هنا حتّى لا يفتتن البعض بزخرفها:

١- متى كان التشيع - حتّى يكون حقيقيًّا - يتوقف على تحديد تاريخ وفاة أو ولادة شخص معيّن.. إنّ هذا من السذاجة بمكان.. فأغلب تواريخ الوفيات والولادات للشخصيات الدينية والتاريخية هو أمر مختلف فيه.. فالنبي ﷺ مثلًا اختلف المسلمون في تاريخ ولادته ووفاته على أقوال، فهل هذا يعني أنَّ من قال بوفاته أو ولادته على

أحـد الأقـوال كان إسـلامه غـير حقيقـي.. ماهـذه السـذاجة في الطـرح.. وإلى أيـن وصـل الاسـتخفاف بعقـول النـاس؟!!

٢- هـل إنَّ القائلـين بوفـاة السـيدة أم سـلمة رضي الله عنها بعـد واقعـة الطـف هـم مـن الشـيعة فقـط حتّـى يكـون هـذا الـرأي رأيًـا مذهبيًّـا؟!!

فالقائلـون بوفاتها رضي الله عنها بعـد واقعـة الطـف (التـي جـرت سـنة ٦١ هــ) هـم جملـة كبـيرة مـن كبـار علـماء أهـل السـنّة أيضًـا، وبالـذات مـن أهـل الاختصـاص والتتبـع الدقيـق في تواريـخ الصحابـة عندهـم.

فهـا هـو الذهبـي يقـول في "سـير أعـلام النبـلاء": «وفي "صحيح مسـلم": إنّ عبـد الله بـن صفـوان دخـل على أم سـلمة في خلافـة يزيـد.

وبعضهـم أرّخ موتهـا في سـنة تسـع وخمسـين، فوهـم أيضًـا، والظاهـر وفاتهـا في سـنة إحـدى وسـتين، رضي الله عنها»[(١)].

فهـذا المحقّـق الكبـير والمعتمـد عنـد أهـل السـنة شـمس الديـن الذهبـي يسـتظهر مدّعـاه بوفاتهـا سـنة ٦١ للهجـرة (وهـي السـنة التـي جـرت في أوائلهـا واقعـة الطـف) بـما ورد في صحيـح مسـلم (وهـو مـن الكتـب المعتمـدة جـدّا عنـد أهـل السـنّة) مـن دخـول عبـد الله بـن صفـوان عليهـا في خلافـة يزيـد، وإذا عرفنـا أنّ واقعـة الطـف حدثـت في محـرّم سـنة ٦١ للهجـرة، أي في أوائـل خلافـة يزيـد - لأنّ شـهر محـرّم هـو أوّل شـهر مـن السـنة الهجريـة - يكـون لاسـتظهار الذهبـي محلّـه مـن القبـول جـدًّا.

بل وجدنا الذهبي ينصّ - في موضع آخر من كتابه - على وفاتها رضي الله عنها

(١) سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢١٠.

بالتحديد بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأنّها حزنت عليه كثيرًا، قال في "سير أعلام النبلاء": «كانت آخر من مات من أمهات المؤمنين. عمرت حتّى بلغها مقتل الحسين الشهيد، فوجمت لذلك، وغُشي عليها، وحزنت عليه كثيرًا. لم تلبث بعده إلّا يسيرًا، وانتقلت إلى الله»(١).

وجاء عن ابن حجر العسقلاني في "تهذيب التهذيب": «قال الواقدي: توفيت في شوال سنة تسع وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة، وقال أحمد بن أبي خيثمة: توفيت في ولاية يزيد بن معاوية، وقال غيره: توفيت سنة اثنتين وستين... وأمّا قول الواقدي: إنّها توفيت سنة تسع وخمسين فمردود عليه بما ثبت في صحيح مسلم أنّ الحارث بن عبد الله بن ربيعة وعبد الله بن صفوان دخل على أم سلمة في ولاية يزيد بن معاوية، فسألاها عن الجيش الذي يخسف بهم، وكانت ولاية يزيد في أواخر سنة ستين.

وحكى ابن عبد البر أنّها أوصت أن يصلي عليها سعيد بن يزيد، وهو مشكل؛ لأنّ سعيدًا مات قبلها بمدة. والجواب عنه سهل إن صح، وهو احتمال أن تكون مرضت، فأوصت بذلك ثمَّ عوفيت مدة بعد ذلك فمثل هذا يقع كثيرًا.

قال ابن حبان: ماتت في آخر سنة إحدى وستين بعد ما جاءها نعي حسين بن علي رضي الله عنهما»(٢).

فهنا نجد ابن حجر العسقلاني -وهو من كبار علماء علم الرجال

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص٢٠٢.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ١٢، ص ٤٠٥.

والتراجم عند أهل السنّة- يردّد عوى من قال بوفاتها قبل خلافة يزيد ويستدلّ بما ورد في صحيح مسلم كما تقدّم عن الذهبي، بل وينقل ما ورد عن ابن حبان - وهو عالم كبير آخر من علماء أهل السنّة - أنَّ وفاتها رضي الله عنها كانت بعد مقتل الحسين عليه السلام بالذات.

وجاء عن ابن عساكر -وهو عالم كبير آخر من علماء أهل السنّة- في "تاريخ مدينة دمشق": «ماتت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة إحدى وستين حين جاء نعي الحسين، وهذا هو الصحيح»[١].

وعن ابن كثير -وهو عالم كبير آخر من علماء أهل السنّة- في "البداية والنهاية": «قال الواقدي: توفيت سنة تسع وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة. وقال ابن أبي خيثمة: توفيت في أيام يزيد بن معاوية.

قلت: والأحاديث المتقدّمة في مقتل الحسين تدلّ على أنّها عاشت إلى ما بعد مقتله، والله أعلم»[٢].

فهنا نجد ابن كثير يقرّ بالأحاديث المروية عنها بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ويثبت أنّها توفيت بعد مقتله.

بل تقدّم عن ابن حجر بأنّ هناك من يقول بوفاتها سنة ٦٢ للهجرة، وهو ما رواه الطبراني بسند رجاله ثقات[٣].

فأين المذهبية - بعد هذه الأقوال - إذا قال الشيعة بوفاتها رضي الله عنها بعد واقعة الطف إضافة لما يقوله هؤلاء الأعلام الكبار من علماء

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج ٣، ص ٢١١.
(٢) البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٣٤.
(٣) ينصّ على ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٤٥.

أهـل السـنّة؟!!

حقًّا إذا قيل: كلمّا عشت أراك الدهر عجبًا.

٣- أمّـا محاولتـه تضعيـف مـا ورد عـن هـذه السـيدة الجليلـة مـن روايات تثبت وجودها بعد واقعة الطف، فيكفينا الـردّ المتقدّم عن ابن كثير في إقراره بهذه الروايات والتي استفاد منها أنّها رضي الله عنها عاشت إلى ما بعـد مقتـل الإمـام الحسـين عليه السلام.

وحديـث شـهر بـن حوشـب بالـذات - الـذي أشـار إليـه -، جـاء فيـه عـن الهيثمـي في مجمـع الزوائـد: «وعـن شـهر بـن حوشـب، قـال: سـمعت أم سـلمة حـين جـاء نعـي الحسـين بـن عـلي لعنـتْ أهـل العـراق، وقالـت: قتلـوه، قتلهـم الله عـز وجـل، غـرّوه، وذلـوه لعنهـم الله. رواه الطـبراني، ورجالـه موثقـون»[1].

وأمّـا حديـث عبيـد الله بـن القبطيـة -الـذي أشـار إليـه أيضًـا- وهـو في مـا يرويـه مـن دخـول الحـرث بـن أبي ربيعـة وعبـد الله بـن صفـوان أيـام ابـن الزبـير عـلى أم سـلمة حـين سـألاها عـن الجيـش الـذي يخسـف بـه، فقالـت: سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقـول: يعـوذ عائـذ بالحـرم، فيبعـث إليـه بجيـش، فـإذا كانـوا ببيـداء مـن الأرض يخسـف بهـم[2].

فهـذه الروايـة - كـما نشـاهد - هـي مـن مرويـات صحيـح مسـلم، وهـو مـن الكتـب المعتمـدة جـدًّا عنـد أهـل السـنّة، كـما صحّـح الروايـة الحاكـم

(١) مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٩٤.
(٢) صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٦٦؛ مسند أحمد، ج ٦، ص ٢٩٠.

في مستدركه، ووافقه على ذلك الذهبي[١]، ولعلّ محاولة الطعن في هذه الرواية لما ذكره ابن حزم في "المحلّى": «أسقطنا من هذا الخبر كلامًا لبعض رواته، ليس من الحديث في شيء، وهو غلط، وهو أنه ذكر أن ذلك كان أيام ابن الزبير، وهو خطأ؛ لأنّ أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها ماتت أيام معاوية»[٢]، وهذا الكلام من ابن حزم مردود عليه؛ لأنّ دعوى وفاة أم سلمة أيام معاوية لم تثبت على نحو متواتر حتّى نضطر إلى التصرف بالمظنون لحساب المتواتر، بل كان المناسب له أن يصنع كما صنع بقية العلماء من الذهبي وابن كثير وابن عساكر من النصّ على وفاتها رضي الله عنها بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام استنادًا لما ثبت بالسند الصحيح لهذه الرواية، خصوصًا وأنّ رواتها من كبار الأئمة والعلماء عند أهل السنّة ممّن عاشوا في القرنين الثاني والثالث الهجريين كأحمد بن حنبل (المتوفى سنة ٢٤١هـ) ومسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى سنة ٢٦١ هـ).

ويؤيد هذه الرواية المروية في صحيح مسلم التي استفاد منها علماء أهل السنّة وفاة السيدة أم سلمة بعد مقتل الحسين عليه السلام، ما رواه الطبراني عنها رضي الله عنها أنّها سمعت الجنّ تنوح على الحسين بن علي[٣].

وعن ابن كثير في "البداية والنهاية": روى حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمارة عن أم سلمة أنّها سمعت الجن تنوح على الحسين بن علي،

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين، ج ٤، ص ٤٧٥.
(٢) المحلّى، ج ١١، ص ٤٠٧.
(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٩٩: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

وهذا صحيح[١].

٤- أمّا حديث القارورة الذي يحوم حوله هذا المتنطع لتضعيفه، فنقول: هذا الحديث العظيم الذي رواه كبار علماء أهل السنّة كابن حجر في تهذيب التهذيب[٢]، والمزي في تهذيب الكمال[٣]، والطبراني في المعجم الكبير[٤]، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق[٥]، والسيوطي في الخصائص الكبرى[٦]، وغيرهم، هو حديث صحيح حسب مباني الجرح والتعديل عند أهل السنّة، فقد رواه الطبراني بالسند الآتي:

حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني عباد بن زياد الأسدي، نا عمرو بن ثابت عن الأعمش عن أبي وايل شقيق ابن سلمة عن أم سلمة، قالت: كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي، فنزل جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، فأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمه إلى صدره، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وديعة عندك هذه التربة، فشمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ريح كرب وبلاء. قالت: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دمًا فاعلمي أن ابني قد قتل، قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة. ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يومًا تحولين دمًا

(١) البداية والنهاية، ج ٦، ص ٢٥٩.
(٢) تهذيب التهذيب، ج٢، ص٣٠١.
(٣) تهذيب الكمال، ج ٦، ص ٤٠٩.
(٤) المعجم الكبير، ج٣، ص ١٠٨.
(٥) تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص ١٩٣.
(٦) الخصائص الكبرى، ص١٢٥.

ليوم عظيم[١].

ورجال السند هنا كلهم ثقات ما عدا عمرو بن ثابت الذي صرّح الهيثمي في المجمع بأنّه متروك[٢]، وإذا رجعنا إلى ترجمته في كتب الرجال عند أهل السنّة لم نجد من سبب لتركه سوى أنّه رافضي.

قال أبو داود عنه: عمرو بن ثابت رافضي، رجل سوء، ولكنه كان صدوقًا في الحديث[٣].

وعنه أيضًا: ليس يشبه حديثه أحاديث الشيعة، يعني أنّ أحاديثه مستقيمة، وليس في حديثه نكارة[٤].

وفي "ميزان الاعتدال" للذهبي: عن يحيى، قال: عمرو بن ثابت لا يكذب في حديثه[٥].

نقول: فإذا ثبت صدق هذا الرجل واستقامة أحاديثه، وأنّه لا نكارة فيها - بشهادة علماء الجرح والتعديل عند أهل السنة أنفسهم - فما الموجب للغمز فيه من ناحية مذهبه؟!

نترك الجواب للشيخ الألباني - وهو من كبار علماء الحديث والرجال في هذا العصر - للرد على أصحاب الغمز المذهبي للرواة، فيقول في مناسبة ما: «فإن قال قائل: راوي هذا الشاهد شيعي، وكذلك في سند المشهود له شيعي آخر، وهو جعفر بن سليمان؛ أ فلا يعتبر ذلك طعنًا في الحديث، وعلّة فيه؟!

(١) المعجم الكبير، ج٣، ص ١٠٨.
(٢) انظر: مجمع الزوائد، ج٩، ص١٨٩.
(٣) سنن أبي داود، ج١، ص٧٢.
(٤) سؤالات الآجري لأبي داود، ج ١،ص٣٤٢؛ تهذيب التهذيب، ج ٨، ص٩.
(٥) ميزان الاعتدال، ج ٣، ص٢٤٩.

فأقول: كلّا؛ لأنّ العبرة في رواية الحديث إنّما هو الصدق والحفظ، وأمّا المذهب فهو بينه وبين ربِّه، فهو حسيبه، ولذلك نجد صاحبي "الصحيحين" وغيرهما قد أخرجوا لكثير من الثقات المخالفين، كالخوارج والشيعة وغيرهم»[١].

هذا، على أنَّ إعطاء تربة كربلاء من قبل النبي ﷺ لأم سلمة للاحتفاظ بها هو أمر ثابت حسب مرويات أهل السنّة أنفسهم، إلا أنّ الاختلاف هو هل جرت هذه الحادثة مرتين، مرّة بحضور جبرئيل عليه السلام كما تقدّم بيانه، ومرّة أخرى بحضور ملك القطر الذي جاء يستأذن للسلام على النبي ﷺ كما يروي ذلك أحمد في مسنده[٢]، بسند صحيح؟ (قال الخطيب التبريزي في الإكمال[٣]: الحديث صحيح وله شواهد كثيرة)، والطبراني في معجمه بسند حسن[٤]؟!

وقد يستفاد أنّها حادثة واحدة كما هو المستظهر من كلام اليافعي في مرآة الجنان[٥]، والصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد[٦]، وابن حجر في الصواعق المحرقة[٧].

٥- هذا في ما يتعلّق برواية حديث القارورة في مصادر أهل السنة، أمّا مصادرنا الشيعية فقد روت هذا الحديث العظيم عن إمامنا الباقر عليه السلام عن

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٥، ص٢٦٢.
(٢) مسند أحمد، ج ٣،ص ٢٦٥.
(٣) الإكمال، ص ١٧٢.
(٤) كما عن مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٩٠.
(٥) مرآة الجنان، ج ١، ص ١٠٨.
(٦) سبل الهدى والرشاد، ج ١٠، ص ١٥٤.
(٧) الصواعق المحرقة، ص ١٩٢.

عمر بن أبي سلمة عن أمّه، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس في ما سمع من صياح في بيت أم سلمة يوم مقتل الحسين عليه السلام كما في الأمالي للشيخ الطوسي[١]، والثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي[٢]، وأيضًا يرويه الشيخ المفيد في إرشاده[٣]، والطبرسي في إعلام الورى[٤]، والأربلي في كشف الغمة[٥]، والفتال النيسابوري في روضة الواعظين[٦]، وغيرهم.

٦- أنَّ المنهج العلمي والأكاديمي يحتّم على الباحث أن يكون موضوعيًّا في طرحه وأن يحاكم المذاهب بمروياتها وأقوال علمائها، أمّا محاولة محاكمة مذهب معين بمرويات وأقوال غيره - كما شاهدنا هذا المتطفل على العلم هنا - فهو أمر معيب حقًّا، ونحن قد رددنا عليه من المشرب الذي أراد أن يروينا منه، ورددناه خائبًا بمشربه.

٧- التشيع لآل البيت عليهم السلام جبل راسخ في الأرض، لم تستطع الدنيا أن تنال منه بقضها وقضيضها منذ ألف وأربعمائة عام إلى اليوم، وكلّ هذه المحاولات البائسة والشيطانية في تفتيته بزخارف من القول ومقولات معسولة فارغة مثل: تشيع مذهبي وتشيع حقيقي، ستذهب أدراج الرياح، وسيسحقها السائرون بأقدامهم إلى كعبة العشق والولاء: كربلاء المقدّسة[٧].

(١) الأمالي، ص ٣١٥.
(٢) والثاقب في المناقب، ص ٣٣٠.
(٣) الإرشاد، ج ٢، ص ١٣٠.
(٤) إعلام الورى، ج ١، ص ٤٢٨.
(٥) كشف الغمة، ج ٢، ص٢١٧.
(٦) روضة الواعظين، ص ١٩٣.
(٧) من إجابات الشيخ خالد البغدادي رحمه الله.

المحتويات

❁❁❁


تم بحمد الله